الصيـاد

قصص

عبدالرحيم عبدالهادي

- اسم الكتاب

الصياد

- المؤلف

عبد الرحيم عبد الهادي

- طباعة

دار: شعلة الإبداع

- **ت : ٠٠٢ ٠١٢٨ ٠٥٣ ٤٥٠٢ / ٠٠٢ ٠١٠٠ ٩٢٦ ٢٠٠٠**
- **البريد الإليكترونيّ:** shoaletalebdaa@gmail.com

- **تصميم الغلاف اهداء الشاعر / عادل جلال**
- **التدقيق اللغوي / أحمد مسعد**

- **نشر وتوزيع : دار العماد**

- رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : **٢٠١٧/٢٥٥٥٨**
- الترقيم الدولي : 978-977-6556-86-7

حقوق الطبع محفوظة

ولا يجوز طبع الكتاب أو أيّ جزء منه؛ إلا بإذن خطيٍّ من المؤلف.

ويعتبر المؤلف مسئولاً مسئولية كاملة عن كلِّ ما وَرَدَ في الكتاب.

الصيـاد

إهداء

إلى الجميل

رامي حسين عبدالعال

الذي ابتسم وطوح لي قبلة في الهواء ،

ثم اتجه صوب قرص الشمس ،

فاكتشفت

أننا مجرد خيالات تنتظر طلوع النهار

عبد الرحيم عبد الهادي

صورة حديثة

سأقول لها أنها

هدية ، وليحدث ما يحدث ، أخرجها من الكيس و أقلبها في يدي ، ٢٢.٢ ميجا بكسل ، والزوم يستطيع التكبير حتى ٢٨ ضعفا ، أما الذاكرة فمساحتها٣٠ جيجا ، هل يوجد أروع من هذا؟ ، سأبدأ بالجسور الحديدية علي النيل ، من دمياط حتى آخر جسر سأجده في الصعيد ، هذا يحتاج بعض الوقت لتوفير الميزانية ، ثمن الكاميرا احتاج ثلاث سنوات حتى قمت بادخاره ، ثم كيف أقنع زوجتي بهذه

الرحلة؟ ، و قبل هذا كيف أقنعها بوجود الكاميرا في المنزل؟، سأقول لها "كيف لي أن أرفض هدية صديقي ؟"، أفتح باب الشقة بهدوء، التليفزيون مغلق، الساعة لم تتعدى الواحدة ونحن في الصيف، هذا أفضل، كنت سأقوم بتصويرها ، وأقول لها كم هي جميلة ، والآن إن لم تكن هي فليكن أنا ، أخرج الكاميرا من علبتها ، أضع كتاب التعليمات في جنب ، أرفعها وأضغط ، أنظر في الشاشة، ليس هذا وجهي ؟ ! ، هذا مجرد صدغ كبير، ربما لأن زاوية الصورة من الجانب ، ألتقط صورة من الأمام ، وأخرى من اليسار، وواحدة من اليمين، ومن الأعلى ، هل هناك أي اتجاهات أخرى ؟ ، أقوم بتحميل الصور على الكمبيوتر، أكثر من عشرة صور أقلبها أمامي أكثر من مرة ، هل بدأتْ طريق الصلع ؟ ، كيف وصل هذا اللغد إلى أسفل ذقني ؟ ، ولماذا ذقني طويلة ؟ ، في الصباح سأحلق ذقني ، وسألتقط مجموعة أخرى من الصور، المهم الآن أين سأخفيها .

لا أعرف كيف وصل النوم إلى عيني ؟ ، وجع رقبتي هو ما جعلني أنتبه ، كنت ممددا على كنبة الصالون ، بملابسي من الأمس ، قمت مفزوعا أبحث عنها ، أتذكر أنني أخفيتها في كرتونة الكتب ، لم يستيقظ أحد في المنزل ، الساعة لم تصل إلى السادسة صباحا، أمام

المرآة أتأمل وجهي مرة أخرى ، معجون الحلاقة جعل جلد الوجه يلين، أبدأ في حلق ذقني ، دائما أتركها لأسبوع أو أكثر ، أميل ناحية المرآة لأرى وجهي عن قرب، تمنعني بطني المترهلة أمامي من الاقتراب أكثر، أرتدي ملابسي وأخرج للعمل، سأتجول في هدوء حتى يحين الموعد، على مدخل البيت أتذكر أن اليوم هو الجمعة، وليكن، سأذهب لشراء الطعمية الساخنة، وأتناول الإفطار أنا وأولادي، أسير وأنا أفتش في جيوبي عن بعض الفكه، أعود للبيت فلقد انتهى مني مصروف الأسبوع بالأمس، وأنا أفتح باب الشقة ، أراها تحمل سلة الملابس متجهه إلى الحمام، ترفع حاجبها الأيسر وهي تنظر إلي، أرد سريعا " كنت أشم هواء الصباح" ، لم تهتم لما أقوله ، يأتيني صوت غسالة الملابس ، فأقول وأنا أسمع نفسي فقط "سأخرج كل يوم ".

في الفجر أستيقظ ، هواء الصباح في الصيف جميل، الملابس الرسمية في المشي متعبة، عندما أمسك مرتبي مرة أخرى أول الشهر، سأبدأ في ادخار ثمن الملابس الرياضية، أقترب من الغيطان، يزداد نقاء الهواء وأشعر بصدري يطير في الهواء، الفرح يغمرني وأنا أرى أشعة الشمس تخرج من آخر الغيطان، لو أنها معي الآن.

المياه التي تتساقط من الدش تجعل جسدي يتفكك، الخدر الذي يسري في ساقي طوال النهار، جعلني أجلس على مكتبي طوال اليوم، في الليل أبحث عن ملابسي القديمة لألبسها في الفجر، لا توجد عندي أي ملابس رياضية ، "هل تبحث عن شيء ؟" يأتيني صوتها حادا ، تطفئ النور وهي تتجه إلى السرير "دا وقت النوم" أمد يدي لأضيء النور.

في الفجر آخذ ملابسي القديمة التي انتقيتها في الظلام ، بعد صلاة الفجر في الجامع ، أتجه مرة أخرى للغيطان، أنظر إلى حذائي الجلد القديم ، وأنا أسأل نفسي هل سيتحمل المسافات الطويلة التي سأسيرها؟ ، بدأت أدمن لحظة تسلل الضوء حولي، بعد ذلك تنتشر الأشعة من قرص الشمس الذي يعلو في السماء، تستطيع في هذه اللحظة أن تنظر في عين الشمس، هل أستطيع أن أقتنص تلك اللقطة بعدسة الكاميرا؟.

مياه الدش الباردة لم تمنعني من حلم افتتاح معرضي الأول، كانوا أكثر من مائتي صورة، بعد الانتهاء من التوقيع للمعجبين بدأت أجفف جسدي، خطر في بالي أن أعد الإفطار لنفسي.

في العمل بدأ صفيري يعلو على كل الأصوات حولي، زملائي ينظرون لي أكثر من مرة، أسند ظهري على كرسي المكتب وأنا أمد رجلي، لا يزال الخدر يسري في ساقي من السير، أشعر بالألم في كعبي، أخرج ورقة وأكتب عليها تفصيلا للمشاهد التي سأصورها، يشير لي أحد زملائي علامة طلب الإفطار، أشير بالرفض، أعود لكتابة وصف المشاهد، أضيف في آخر الورقة بين قوسين " توفير ثمن الإفطار مع زملاء المكتب كل يوم ، يوفر ثمن حذاء رياضي للمشي " يخرج الصفير من فمي مرة أخري، أتطلع لزملائي، لا أجد أحدا منهم ينظر لي، أكمل اللحن.

هي من أضاء النور، والفجر يؤذن، تمد يدها لي بورقة، أهز رأسي محاولا الاستفهام، " طلبات المطبخ أسبوعا كاملا " وتمد يدها بالفلوس، "الخضار الطازج يصل السوق بعد الفجر، اهتم بنا مثل الجري "، كنت قد عرفت من الرجال الذين أصلي معهم الفجر المكان الذي يبيع فيه الفلاحون الخضروات لبائعين السوق ، تعلمت كيف أحصل على أرخص الأسعار.

اللحن الذي جاءني لتصفيره لم أكن أعرفه ، لم تمنعني نظرة رئيسي أن أكتب علي ورقة التخطيط "شهر في السوق يساوي ملابس رياضية"،

أمد يدي في الفجر إلى مفتاح النور، أنتبه لملابسي، كانت مطوية بعناية وموضوعة تحت مفتاح النور مباشرة، تخرج منها رائحة مسحوق الغسيل، أفكر وأنا أجري كيف سأعد طعام الإفطار اليوم ؟، بعد انتهائي من حمام الصباح وجدت الطعام معدا وموضوعا على منضدة المطبخ، أضع يدي عليه ، لا يزال ساخنا، أقترب من غرفة النوم، يصلني صوت غطيطها، أسأل نفسي "ما الجديد ؟"، وأنا أرتدي ملابسي، أربط الحزام أجده يحتاج للشد، أشد أكثر وأكثر، من السعادة لم أتناول إفطارها.

في العمل أضع المرتب أمامي وأفكر، أخصم ثمن الخضار الذي تجعلني أشتريه طوال الشهر بعد الجري،

أضع الباقي في يدها وهي تسألني " أين المرتب ؟"، تقلبها في يدها، تنظر لي وهي ترفع حاجبها الأيسر، هل كانت تنظر لي هكذا دائما؟، "أين الباقي ؟ "، أمد قدمي وأنا أجلس على أقرب كرسي " إذا أردتِ أي شيء

أطلبي " تشوح بيديها " ما الجديد ؟ " ، أحدجها بنظراتي وأقول بهدوء " أنا جائع ممكن تحضري الغداء "، تمصمص شفتيها وهي تذهب للمطبخ.

في الليل أجلس في الصالون، بهدوء أخرج كتيب تعليمات الكاميرا، أشعر بها تتحرك في الصالة، تمر أمام الغرفة، تعود بسرعة وتنظر لي، تتأملني، تحرك رأسها علامة الاستغراب، تنادي الأولاد ، وتقول بصوت عال " من الآن المصروف مع أبيكم " ، يدخل عليّ الأولاد وهم يهتفون "يحيا العدل يحيا العدل"، تغادرنا والضيق يمل وجهها، يلتف حولي الأولاد، يقبلوني، البنت الصغيرة تحتضنني، بعد أن يهدءوا وهم يخرجون تشير الصغيرة ناحيتي " بابا أنت تضع ساقا علي الأخرى !"، أنتبه لنفسي، نعم ، كنت أفعلها بدون أن أشعر، أهتف بكل حماس " هل تريدون الإفطار غدا أقراص الطعمية الساخنة ؟ " هلل الأولاد أكثر.

بعد الجري أحضر أقراص الطعمية الساخنة، عندما أفتح باب الشقة أصيح " الإفطار جاهز" يجري الأولاد في الشقة ولا يزال النعاس على وجوههم ،بعد أن يتجمعوا أقول "عندي لكم مفاجئة " قبل أن

أذهب للاستحمام أجدها تقف ورائي وهي تحمل ملابسي النظيفة وتقول "ما هي المفاجأة ؟"، لم أرد عليها، رائحة الياسمين تملأ الملابس، الرائحة تعيدني إلى أيام الزواج الأولى، أسأل نفسي هل أقول لها عن رحلتي لتصوير الجسور الحديدية على النيل ؟، أرتدي ملابس الخروج، أخرج الكاميرا وأطلب منهم الوقوف لألتقط لهم صورة، تنهال علي الأسئلة من أولادي، أطلب منهم الصمت حتى أضبط الكاميرا، يقف الأولاد في سكون تام، أشير لزوجتي أن تقف معهم، تسير ناحيتهم ، تلوح بيدها " هتصور بملابس البيت "، أضبط الكاميرا ، وأتحرك بسرعة لأقف معهم ، أقف بجوار زوجتي التي تحاول أن تسوي شعرها، أميل ناحيتها وأهمس في أذنها " ألم تلاحظي أنك أصبحت سمينة جدا ؟"، تنظر لي فأعاجلها " أنا متأكد إن نصفك سيكون خارج الكادر".

لم أستطع اقتناص القمر

(خطوة الموت)

لليوم الثالث والنهر يرفض

أن يعطينا جسده ، الشاطئ لا ينقص من الناس ، الوجوه تتغير ، انتظرنا أن تبدأ أمه في البكاء، لكنها كالنهر ، تضن علينا بما يجعلنا نبكي وراءها ، أشعر أن الخرس أصاب الجميع، والموت سكن بين الناس ، تزور أعينهم الحياة عندما تتعلق بالنهر ، ما الجديد؟، أجابني أصدقائي بأنه يجب علي تصوير موضع قدمه قبل أن يقفز في النهر، ألعن الجميع ، وألعن نفسي ، موضع قدمه وسط الناس ، وما كان

هذا هو ما اتفقنا عليه من البداية ، تتوه منك البدايات دائما ، وتنسى لم بدأت ، أكان يجب أن تذهب ؟ ، ما تريده فقط هو صورة للقمر في ليلة النصف ، ألا يجرك هذا المشهد مرة ثانية للناس ؟ ، هذا ما جرك في المرة الأولى ، الآن تنهال عليك الذكريات ملطخة بالدم ، التزم بشباك الكاميرا فقط ، وتذكر وعدك ، " البداية من هناك " يقولون هذا وهم يشيرون إلى الضفة الأخرى من النهر ، يريدون أن تبدأ من موضع قدمه، أله موضع قدم؟ ، من المفترض أنه كان يجري ، لا تشعر الأرض بقدمه ، " لكنها خطوة الموت " يصرخ في الجميع ، أصرخُ فيهم "التوثيق وفقط " ، انفضوا من حولي ، تركوني وحيدا على الكوبري ، كانوا يشيرون إلى الضفة الأخرى، لا يوجد في هذه الناحية كورنيش .

للمرة الثانية أبحث عن الخلاص ، أعرف ما سوف يحدث ، فلقد بدأت أستطيع قراءة شخصيتي ، أنام ظهري لزوجتي، الكاميرا آخر ما تراه عيني قبل النوم ، في الصباح أفرغ كل ما في ذاكرتها على الكمبيوتر، أضع الجميع في ملف اسمه " لم أستطع اصطياد القمر " ، تهمس في أذني " تذكر وعدك لي"، هي أيضا تعرفني ، هل كان الوعد

لها أم لنفسي ؟ غسلت لي الملابس أكثر من مرة ، لا أستطيع أن أقترب منها ، أشعر أن يد الفتاة لا تزال ممسكه بقميصي ، والدماء تنساب من رأسي على ذراعها ، تنظر لي زوجتي وأنا أخرج ، أهز رأسي لها " مجرد توثيق "، لم يكن عملي حائلا بيني وبين البداية ، الكل اعتاد عليَّ وأنا أحمل الكاميرا ، عمارات الإسكان الجديدة بدايتهم للمظاهرة ، منطقة بعيدة عن مركز الشرطة ، لكنها تعج بالموظفين في إدارة الضرائب والزراعة ، من هنا بدأت المطاردة ، الجميع يجري في كل الاتجاهات ، يشير صديقي إلي ضفة النهر" هنا "، أتأمل فلا يظهر أمامي شيء ، أهز رأسي " لا أرى شيئا" ، ينحني صديقي ، يحدد بأصبعه موضع الخطوة ، أنحني فأرى نصف خطوة مطبوعة علي الشاطئ ، إنها النصف الأمامي لقدم ، مضغوطة وكأنه يقفز بكل قوته ، أضع أصبعي على الزناد وأبدأ في إطلاق اللقطات ، " خطوة صغيرة للإنسان ، خطوة كبيرة للإنسانية " ، لا أسمعه يضحك ، تطيش مني اللقطات ، وأبدأ في التصويب على كل شيء أراه من شباك الكاميرا ، ألتقط صورا لأمه وحولها بعض النسوة "هل تريد أي شيء آخر؟ " "متى أراهم ؟" " في المساء، وإذا ظهرت الجثة، اتصل بي لأحضر الجنازة " .

الصور تتوالى أمامي علي شاشة الكمبيوتر ، زوجتي من الخلف تستعرض معي الصور ، " لم أر "أجا" من هذه من الناحية من قبل ، توقف عند هذه الصورة " ، أرفع أصبعي عن الماوس "لا ، ارجع إلى الخلف صورتين فقط " صورة للضفة الثانية ، ثلاثة يلوحون لنا ، "هل يتوعدونكم ؟ "، أضحك " لا تشغلي بالك " .

في الليل جذبني القمر مرة أخرى لحمل الكاميرا ، هي لقطة واحدة كل ما أريده ، القمر وهو يتوسط الكوبري ، شاهدتها مرة واحدة ، تشعر أن القمر يأخذ الكوبري بين ذراعيه ، السيارات والبشر وكأنهم يخرجون منه ، أجلس على المقهى في أيام اكتمال القمر عسى أن اصطاده ، " هل صورت الحشود بالنهار؟ "، جاءني صوته وهو يسحب الكرسي ويجلس بجواري ، " لا ، لم تكن هناك حشود بالنهار ، أمه ومجموعه حولها " "الحشود الآن كثيرة يا فنان"، لم أكمل قهوتي ، " لما لا تجلس أمه عند مكان سقوطه ؟ " "هي تجلس عند آخر مكان ظهر فيه يحاول الخروج للحياة " ، " ألم ترسل الشرطة غواصا ليبحث عن الجثة ؟ " " لن أرد عليك يا فنان ، وكأنك لا تشاركنا الهم " ، نقف على الكوبري ، أبدأ في تصوير كل شيء مرة أخري ، أنا لا أريده أن يطلبني مرة أخرى

للتصوير، " أين أمه ؟ " يشير بيده ، أضع عدسة الزووم وأبدأ، الحشود كبيرة ، لم تكن هذه اللقطات لترضيني ، أتركه وأقترب منها ، الناس لا تزال كثيرة ، أشعر أنهم متضايقون مني ، ثلاثة حاولوا منعي ، "صحفي يا أستاذ؟" " نعم " يضع أحدهم يده في صدري "ممنوع !" لم تكن بي رغبة في المماحكة ، ذاكرة الكاميرا امتلأت بكل ما أريده، أخرج من وسطهم بهدوء ، لم يعد أمامي إلا عمل ملف بالصور ، وأنتهي من كل هذا ،

أقلب اللقطات أمامي علي الشاشة، أرتبها على حسب الموضوع ، الإضاءة في الصور التي التقطتها بالليل ضعيفة جدا ، تعطي إحساسا بالحزن ، بالأخص صور أمه ، أراجع صور الصباح ، لم تغير ملابسها ، هل ذهبت إلى منزلها من الأمس ؟! ، أفتح الفيسبوك ، أبحث عن صفحة محمود فتحي، أعثر عليها ، تضع زوجتي يدها على كتفي وأنا أفتح الصفحة ، تظهر لي صورته مكتوب تحتها مشروع شهيد ، أغلق الكمبيوتر بعنف ، تربت زوجتي على كتفي " أنت قلت : مجرد توثيق " .

في النوم أراه وهو يغطس ويظهر وينادي باسمي ، وأرى نفسي الوحيد الذي يقف علي ضفة النهر ، أستيقظ على فكرة أن هذه الصور لا تصلح لعمل ملف للحادثة ، أبعث برسالة لصديقي على المحمول ، في الصباح يشرح لي الأحداث من البداية .

وصلنا مرة أخرى للبداية ، البداية هناك ، كل ما حدث أنني تتبعت الصرخات مثل كل من حولي ، جنود الأمن المركزي أغلقوا علينا الشارع من الناحيتين ، لم أفهم ما يحدث إلا عندما نزلت أول ضربة على كتفي ، أحاول تفادي المزيد ، لكنهم تجمعوا عليّ ، معظم الضربات كانت على الرأس حاولتُ تجنبها بذراعي ، سرعتهم شديدة ، بدأت أشعر بشيء ساخن يسيل في شعري، أسقط على الأرض، تقترب فتاة وتحاول الاحتماء بي ، التف حولنا جنود كثيرون ، ولم أعرف من أين تأتي الضربات ؟ ، كانت هي الأسرع في الوقوع على الأرض ، ينادي الضابط عليهم للذهاب إلى ميدان التحرير لحفظ الأمن ، كنا كثيرين ملقون على الأرض ، وأنا أستند على يدي وقدمي ، الناس بدأت في التوافد ، يقلبون في الأجساد ، امتدت يد الفتاة وأمسكتني من قميصي ، والدماء تسيل من رأسي على ذراعها .

يعدني صوته الذي بدأ في الحكي " الجميع كانوا هنا ، يحملون صور المعتقلين والشهداء ويهتفون ، كانوا ينتظرون خروج العمال والموظفين من أعمالهم ، كما ترى هي منطقة مليئة بمصالح حكومية تخدم كل المركز " أمسك بيده وأشير برأسي في الاتجاه الآخر " هل تعرف هؤلاء الثلاثة ؟" تقلص وجهه ، يهمس " هيا بنا " أسير وراءه ، خطواته سريعة أقرب إلى الجري ، أحاول أن أجاريه ، لكنه أكثر خفة مني ، أقول " لا أستطيع الجري في هذه السن " ، لم يلتفت لي ، يغوص بين بيتين ، لم أنتظر التفكير ، أتبعه لأجد نفسي فجأة على ضفة النهر ، بجوارنا بنك مصر، أحاول أن ألتقط أنفاسي ، أترقب الممر الضيق بين المنزلين ، لم يخرج منه أحد ، أسأله وأنفاسي تتقطع " من هم ؟" " هم من ألقوا به في النهر " " ولماذا لم يفعل هو مثلنا ؟" " لا يعرف البلد مثل أهلها "، يشير بيده إلى نهاية الطريق، "تبعثر الجميع في الغيطان ، إلا هو واثنين ، نزل الاثنان إلى تلك الترعة الجافة ، واتجه هو إلى البحر ، لا نعرف إلى الآن ما الذي أجبره على القفز في النهر ، من كانوا مختبئين في الترعة قالوا : سمعنا صوت إطلاق خرطوشة ، بعض المارة قالوا وهو يقفز استطاعوا اللحاق به ، وضربه أحدهم بعمود من الحديد على رأسه " ، يتوقف عن السير ، يكمل "

ما نعرفه عنه أن لم يكن يجيد السباحة " ، يتلفت حوله بتوتر ، أنظر معه في كل الاتجاهات ، " لنعود إلى بيوتنا " "هل تعرف أي أحد منهم " " أحدهم سمسار فاشل والآخر عجلاتي أما الثالث فلا أعرفه " " ليسوا شرطة ما الذي يخيفك" ينظر لي بلوم ، بتوتر شديد يقول " لنعد إلى بيوتنا " ، يظهرون مرة أخرى ، أرفع الكاميرا وأبدأ في إطلاق اللقطات عليهم ، أريد أن أحتفظ بصور لوجوههم ، أستعمل عدسة الزوم ، " لماذا تفعل هذا ، لقد شاهدوك لنعد إلى بيوتنا وحاول أن تحافظ على نفسك "، انتقل توتره إليّ ، نفس التوتر والقلق الذي ركب معي السيارة وأنا عائد من القاهرة ، لا يزال ضجيج الهتاف في الميدان يملؤني ، نظرات الناس لملابسي جعلتني انكمش في كرسي السيارة ، أتمني طول الطريق ألا يشعر بي أحد ، علي كنبة الصالة تمددت ، تحاول الاستفهام مني وهى تعاين الجرح وتمسح الدم الناشف ، القلق يجعلني أنظر ورائي دائما ، لا ألمح أحدا منهم ، هل من الممكن أن يضربوني أمام الناس ، وأمام بيتي ووسط أهلي ؟! ، أرى زوجتي تكنس مدخل البيت ، صرختها لم تكن أسرع منهم ، الضربات تأتيني من كل اتجاه ، أرتمي على الأرض معطيا ظهري لهم ، يقلبني أحدهم ويخرج الكاميرا من تحتي ، يبدءون في تكسيرها وصوتهم يعلو

"يا جواسيس يا عملاء ، سنقتلكم كلكم " ، لم يمنعهم أحد ، يرحلون بعد أن تكسرت الكاميرا إلى مائة قطعة ، زوجتي التي لم ينقطع صراخها أبدا ، ترفعني عن الأرض ، تهمس وهي تبكي " ألم نتفق على أنه توثيق وفقط ؟ " ، أمد يدي وأبحث وسط الأجزاء المتبقية ، أعثر على ذاكرة الكاميرا ، لا تزال سليمة ، أبتسم لزوجتي وأنا ألوح بالذاكرة " إنه مجرد توثيق " ، أقف معها وندخل البيت ، أتمدد على كنبة الصالة ، تمسح لي الدم وتسألني عما حدث مرة ثانية ،

لليوم الرابع وأنا أجلس بجوار أمه، ويرفض النهر أن يعطينا جسده ، الشاطئ لا يوجد به ناس ، وهي كالنهر ترفض أن تعطيني ما يجعلني أبكي وراءها .

الصيـاد

أعتقد أنهم لن يجدوني هنا،

ثلاثة أيام وأنا على هذه الحال ، يأتي كل يوم قط جديد، يشم الأرض من حولي، وعندما لا يجد أي سمك يبدأ في المواء، لا يتوقف حتى أقذفه بحجر، لم يعد قلبي يحتمل كل هذا، لم أهرب إلى هنا إلا بسببه، هاهي الحشائش تتحرك ، هل سيخرج من بينها قط ؟ أبحث بعيني عن حجر لألتقطه، يطل برأسه من بين الحشائش، ويقف في هدوء، أعرف من لونه أنه لم يأت من قبل، رأسه صغيرة وبطنه

منتفخة، لم يكن قطا ، بل هي قطة وحامل، أتجاهلها وأنظر للنهر فتقترب مني، سأتركها حتى تفهم أنني لا أصطاد، تبدأ في المواء بصوت خافت، أنظر إليها وأنا أملأ وجهي بالغضب، تصمت وهي تنظر إليّ ، عيناها مشحونتان بالرجاء والتوسل، تنظر بنفس نظرة زوجتي، وهي تضع ماكينة الصيد في يدي، بعد كل ما حدث مني لم أستطع أن أرفض، ألم تقل لي في الليل وهي تأخذ تليفوني المحمول "لا تحمل هم أي شيء"، تبدأ في المواء مرة أخري ، أضع ماكينة الصيد بجواي، وأقول " لو ، أحضرتِ لي بعض السجائر سأبدأ في الصيد " في الشقة أجد الدواء بجوار طعام العشاء، والجو ساكن، هل من حقي أن أسألها عن مكانها عندما تعود؟ أم ستجيبني : "ما أنت عارف" أستيقظ في الليل على صداع ، أجدها نائمة بجواري، كيف لها أن تنام هادئة هكذا ولا تطمئن علي ؟ يشتد الصداع، لن يخلصني من هذا كله إلا سيجارة ، لو أجد واحدة، لن تخطئ وتترك أي علبة، أصبحت حريصة جدا، حتى أنها أصبحت تدخن خارج البيت، تتقلب في فراشها ، يظهر لي أنها كانت تحتضن فواتير المعرض، أهزها بعنف "أريد طعما للصيد" تنظر إلي باستغراب، تعطيني ظهرها وتعود للنوم .

لا أتذكر أين جلست بالأمس، أملء صدري بالهواء، وأتأمل النهر، سأجلس هنا ،هل ستستطيع أن تجدني هنا،لا تشغل نفسك بأي شيء، لم يتبق لك ألا أياما قليلة، وستنام على الطاولة، أنتبه على رأسها وهي تحكها في قدمي، أنفث دخان السجائر في وجهها "هل أحضرت علبة السجائر؟"، أنا لم أتذكر أن أحضر طعما للصيد، من البداية أنا لا أتذكر من اقترح فكرة القضاء على أيام الانتظار حتى الموعد بالصيد ، هل كانت زوجتي أم الدكتور؟ تمؤ بصوت منخفض وهي تزيد من احتكاكها بقدمي، أمسح بعيني الشاطىء ، أريد مكانا لم يصطد منه أحد من قبل بناء السد العالي، تسير القطة ورائي، الشاطىء كله متشابه، يملؤه البوص، فلنحرق أي بقعة والسلام، لم يعد أمامي إلا إحضار البنزين، هو الوحيد الذي يأكل الأخضر، تموء وهي تهز ذيلها، أبتسم وأنا أقول بصوت عال لها " هل معك فلوس لنحضره؟

تطقطق العيدان الخضراء والنار تلتهمها، تجري الفئران في كل اتجاه، بعضها يبدأ في السباحة إلى الشط الآخر والبعض يسبح بجوارنا ويدخل إلى البوص مرة ثانية، أنظر للقطة "سأعود في الغد لنرش

الأرض التي احترقت بالسولار، رائحته تخرج أي شيء من تحت الأرض " تمؤ القطة فأضحك وأقول " كلامك صحيح لابد من إحضار الشيح "

أستيقظ على صوتها تضحك في الصالة، هل تحادث أحدا من تليفوني؟ تنهي المكالمة عندما تجدني أمامها، تهز رأسها " أحد الدائنين "، تشير بيدها إلى الطعام، أشير إليها بأنني سأخرج، تهز رأسها وتغادرني إلى المطبخ "أعرف ما تفكر فيه" ، أغسل وجهي بالماء لأجدها خلفي، تمد يدها بعلبة ، " الطعم حسب طلبك " تفتح العلبة، يظهر منها طعم حيا يتلوى، تتركه بين يدي، تقول وهي تغادرني : ــ "لا تنس أن تضع حوله بعض الطين حتى لا يموت" أرد عليها بحدة : "وأرشه بالماء كل بضعة ساعات حتى لا يجف الطين" ، لا ترد، أتابعها وتخرج من باب البيت وأهز رأسي هل قالت فعلا أنها تعرف فيما أفكر، أنا أفكر في القمح للصيد، أنا صياد قديم ، ولابد من "الترقيد" " نحتاج أن تنقعه في الماء يومين.

أتحاشى أن أمر بالمعرض وأنا في طريقي للنهر، أبحث مرة أخرى عن منطقتي، هل سيحدث معي هذا كل يوم؟ أخير أجدها ، الحمد لله لم يستول أحد عليها، أغرقها بالسولار وأنتظر، لا يخرج شيء ، أسكب كل

السولار، فلا يحدث شيئ جديد ، ألن تأتي القطة اليوم؟ سأخبرها أنني بحثت عن دوائي اليوم لأتناوله مع طعامها، وأخبرها أنني سأبدأ الصيد بعد نثر القمح في الماء،

"أي صباح جميل هذا" أقولها للقطة وهي تقترب مني، أفرد ذراعي وأملأ صدري بالهواء، اختفت رائحة البنزين والسولار، تتسلل إلى أنفي رائحة لحم محترق، هل ماتت من الحريق؟ أرى من بين شقوق الأرض ذيل ثعبان صغير، يتملكني الخوف، أقذفه بحجر، لا يستجيب، أحركه بطرف قصبة الصيد، لا يتحرك ، أسحبه بيدي من بين الشقوق، فلا يخرج شيء غير الذيل، أرمي به في الماء وأسأل نفسي هل قتلت غيره ؟، أخرج الطعم من العلبة، وأدير ماكينة الصيد فتتمدد القصبة أمامي، الغماز يطفو على سطح الماء، ما الذي تبقى ؟ بعض الصبر، تمر المياه هادئة ويمر الوقت معها ، لا تترك عيني الغماز، كلما مر الوقت تتشبث عيني به أكثر، يهتز أخيرا، أسبحه بسرعة، فيخرج لي الهلب برأس سمكة، من يفعلها الآن ؟،هل أكلتها سمكة أكبر؟، أضع الطعم وأراقب الغماز، بدأ الاهتزاز سريعا، أسحب لكن الخيط لا يستجيب ، ثقيل هذه المرة ، هل أشد شيئا معه ؟،أشد بقوة أكثر فتخرج لي نصف سمكة، ألمحت تلك الرأس التي تعوم مع الخيط

وأنت تسحبه؟ أحاول مرة ثالثة ورابعة وعاشرة، في كل مرة تظهر لي رأس الثعبان وأنا أسحب الخيط، لا أعرف ما الذي قادني ناحية المعرض، أرها من خلف الزجاج تجلس مع الزبائن، مائلة بكرسيها إلى الخلف، تتحدث والجميع يسمعون لها،

على سريري كنت أحرق السيجارة بعد السيجارة، أتأمل الدخان وأنا أخرجه مرة من أنفي، ومرة من فمي حتى امتلأت الغرفة بالدخان، يضيق صدري، أحاول التنفس، أحس بيد تخنقني من رقبتي، تنتقل لقلبي وتعصره، ينتفض جسدي وأشعر باليد وكأنها ملأت نار وتفرغها في قلبي، وأظلمت الغرفة، في الظلام تصل إلي أصوات متداخلة، أحاول أن أفهم ما يقال أو صوت من هذا ولكني لا أستطيع، يبدأ النور يملأ المكان ويشتد، أحرك كفي لأحمي عيني، فتمسكها يد أخري ، هل أسمع من يقول "حمدا لله على سلامتك"؟ أفتح عيني فأجد كفي في كف زوجتي بالقرب من قلبها ويدها الأخرى تعبث في الهاتف، أهز كفها بكفي، تنتبه، فترفع رأسها وتنادي على الممرضة،

أعود للمنزل بقطعة من اللاصق على صدري، والسماح لي بسيجارة واحدة في اليوم، ثلاثة أيام وأنا لا أقوى على مغادرة السرير، وكلما

سمعت صوتها تتحدث في هاتفي المحمول ، أشعر أنني سمعت هذا الصوت في نفق الموت،

أصبحنا في اليوم الخامس وبدأت تعود لي عافيتي، تري كيف هي القطة الآن؟ هل وضعت أجنتها؟ متى أعود للصيد؟،كيف هو الطعم الحي ؟ هل لازال حيا إلي الآن؟ أين وضعته آخر مرة، أبحث في كل مكان، حتى وجدته مع ماكينة الصيد في حقيبة من القماش مما يحمله الصيادون على النهر، لا أتذكر أنني اشتريتها، أفتحها لأجد علب سجائر كثيرة، هل ضعفت ذاكرتي إلى هذا الحد؟ حتى أنني نسيت النوع الذي أدخنه، أرفع غطاء علبة الطعم، فأجد الطعم يتلوي والطين من حوله طريا، وكأن أحدا بلله بالماء منذ قليل.

مظاهرة واحدة

"الآن هدأت الروح، واطمئن القلب،

حمدا لله علي سلامتك" أنظر للرسالة مرة أخيرة وأنا أسال نفسي هل أتصل به مباشرة؟ أضغط بسرعة على زر "إرسال"، لا أعرف ماذا يظن بي الآن، عندما كنت ألمح أمه في الشارع أحاول الاختباء، أترك الهاتف والقلق يملؤني، هل يقبل هديتي؟ ستة شهور وأنا أخزن فيها، أتأملها وأقول لنفسي لابد أن أضعها في الأكياس ، سأذهب لزيارته عندما يرد على رسالتي، أنظر في الهاتف مرة ثانية، لم تأت أي رسالة

حتى الآن، لن ينقذني من هذا التوتر غير قهوة الصباح، وصلني الخبر بإخلاء السبيل منذ يومين، فقررت الانتظار حتى يوم إجازتي لزيارته، رنين الهاتف يجعلني أترك إعداد القهوة، يأتيني صوت رئيسي متعجلا ("مدير النيابة يريدك ضروري، سلام " ألعن الكل، وكأنهم لا يريدونني أن أتمتع بيوم الإجازة، كان رئيسي المباشر هو من يطلبني دائما، ودائما كان الطلب لأشياء فارغة، ومعظمها خاص ببريد القضايا التي ستسافر لمحكمة المنصورة الكلية، هذه المرة الأولى التي يطلبني فيها مدير النيابة، أعود لعمل القهوة، وأنا أقول الآن سوف يتصل عندما يري الرسالة، كنت أخشى أن يظن أنني وراء اعتقاله، آخر مرة رأيته كان أمام كشك الجرائد، كعادتي كل مساء، في الصباح كانت البلدة مملوءة بالأخبار، تم القبض على ثلاثة معه في الفجر، كان يوما غائما في شتاء أحسه حزينا، إنها المرة الأولي التي يتم اعتقال شخص أعرفه، لم أدر ماذا أفعل؟ أسأل عنه ولا تأتيني أي أخبار، كل ما جاءني أنهم الآن في الحجز، الأخبار تقول إنهم تم اتهامهم بحرق محول الكهرباء العمومي ، الهمس يعلو في البلد، بأن الذي سيقترب الآن للسؤال عنهم ، سيجلس بجوارهم في الحجز، لم يعد أمامي إلا الانتظار حتى يتم عرضهم علي النيابة، تسعة أيام وأنا أنتظر أن يعبروا بهم الشارع

الفاصل بين المحكمة وقسم الشرطة، حالة من الطوارئ انتشرت في المحكمة يوم عرضهم على النيابة، ساعة وأكثر وأنا أنتظر أن تصلني بعض الأخبار، خرجت من مكتبي بدون أذن رئيسي، أصعد إلي مكاتب النيابة في الدور الثاني ، على درجات السلالم أتوقف، وأنا أسأل نفسي بأي صفه سأصل إلى هناك، أتراجع بظهري قبل أن ينتبه لي أحد، عند البوفيه ألمح الساعي المخصص للنيابة،في البوفيه وأنا أرفع صوتي "فنجان قهوة زيادة "أقوم بالتمثيل وكأني فوجئت بالساعي يقف أمامي ، أرفع صوتي مرة أخري "و واحد قهوة للناس الحلوة " وأضع يدي على كتفه وأبدأ في الترحيب به ، أسأله السؤال التقليدي "الأخبار عندكم أيه؟ " يرد"العيال بتوع المظاهرات" "عاوزك تتوصى بهم" "فيهم حد من أقاربك ؟" "لا ، إنما صديق، ممكن أبعت له قهوة معاك؟" " لا أنا ولا أنت نقدر نقترب منهم، إحنا عندنا عيال نربيها " "ابقى طمنى عليهم " وأرفع صوتي بطلب القهوة له مرة ثانية ، فيقاطعني بأنه شرب الآن شايا، ويخبر عمال البوفيه أنني سأحاسبهم على فنجان القهوة الخاص به وسيتناوله في وقت آخر، قبل انتهاء العمل مر بي، يهمس في أذني "خمسة وأربعون يوما ، والترحيل إلي سجن ميت سلسيل " أهمس في أذنه " ما التهمة ؟" يكمل في همس " الاشتراك في المظاهرات " " وما

أخبار تهمة حرق محول الكهرباء ؟" يهز رأسه علامة النفي، ثم رفعها وهو يقول " العيال عملوا القهوة سادة وأنا أحبها زيادة " فأرد عليه "لك مني فنجان آخر " بدأ عقلي يسترجع كل الحواديت التي نسمعها عن سجن "ميت سلسيل" في المساء كانت صورهم منشورة في إحدى الصفحات على الفيس بوك، اللقطات تم تصويرها من هاتف محمول و الإضاءة خافتة، من كادرات التصوير يظهر لك أنها صورت خلسة، كانوا مابين وقوف وجلوس على السلم الأخير في نهاية ممر النيابة ، هو الوحيد منهم الذي ينظر إلى الكاميرا، قدماه حافيتان ويبدو عليه الإرهاق، رغم أن عينيه تنظر ناحية الكاميرا لكن يظهر فيها الانكسار، اختفى الإصرار الذي كنت أراه في عينيه، كان ينظر لي بتحد دائما، ونحن نتناقش أمام كشك الجرائد، أمازحه دائما " أريد أن أكتب قصة عنكم؟ " يرد ويقول "قل ما تريد وأنا تحت أمرك " أقول في جدية " أحكي عن كل شيء " يضحك ويقول " لن تكون قصة، إنما تقرير للأمن !" أرد في انزعاج "لا أريد أي أسماء " يقترب مني ويقول " أنا موافق، المهم رأي باقي الناس، نتقابل هنا غدا" في الصباح كانت أخبارالاعتقال تملؤ البلد، أتفق مع بائع الجرائد، أن يظل يحجز له كل

المجلات والدوريات التي كان يتابعها، وأناسأتكفل بثمنها،ستة شهور وأنا أخزن له كل المجلات التي يحبها حتى سمعت بخبر الإفراج.

يرن هاتفي، هو المتصل، يسألني بصوت يملؤه الحذر " لو سمحت حضرتك هذا الرقم بعث لي برسالة منذ قليل؟ " أرفع ضحكتي " ألم تعرف رقمي يا دكتور؟ " ثم أعرفه بنفسي ، يرد في فرح "معذرة يا أستاذي،أنت تعرف، عند اعتقالي أخذوا مني تليفوني والكمبيوتر المحمول وعبثوا بهما حتى ضاعت كل الأرقام والأشياء المخزنة " أقاطعه " أهم حاجة رجوعك لنا بالسلامة" أسمع أصوات كثيرة حوله فأقول " سأتركك الآن لضيوفك سلام " يرد "سلام، قبل أن أنهي معك، عندي لك حواديت كثيرة، وكلها من أجل طلبك" أقاطعه " أي طلب؟ " يضحك " الأمر الذي طلبته مني قبل اعتقالي " لا أمتلك نفسي من الفرحة " نعم أريد أن أسمعها كلها " يرد "عندما نتقابل بعد صلاة الظهر سنتحدث بالتفصيل ، سلام الآن " أرد بسرعة "سأحضر إن شاء الله ، سلام" يرن جرس الباب وهو ينهي معي المكالمة، الساعي لا ينتظر حتى أرحب به، يقول " الباشا عاوزك ضروري " أرد " اسبقني وأنا سأحصلك " يهز رأسه "الباشا قال لي ما جيش من غيرك " لا أناقش، أدخل لتغير ملابسي ، في المحكمة يدخل بي الساعي من المدخل

الخاص، لوحة معلقة على الجدار ونحن نصعد السلم مكتوب عليها " مدخل خاص بالسادة أعضاء النيابة " يملؤني شعور الرهبة، وأشعر بالصداع ، أسال نفسي هل شربت القهوة التي أعددتها؟ يشاهدني أمين الشرطة الذي يقف علي باب المكتب ، يشير لي أن أسرع، عندما أصل إليه يقول " الباشا موصي انك تدخل بسرعة" أقف أمام باب مدير النيابة، يشدني أمين الشرطة من ذراعي، وهو يشير ناحية باب آخر لغرفة ثانية، يطرق أمين الشرطة الباب ويفتح في هدوء، يجلس فيها شاب يقرأ كتابا ، يؤدي أمين الشرطة التحية له، يضع الكتاب وهو مفتوح على وجهه، يقوم الشاب بسرعة، يأتي إلي ويسلم بحرارة، وهو يقول " أهلا مبدعنا الكبير" يشير لأمين الشرطة " شوف مبدعنا الكبير يشرب أيه " أهز رأسي وأنا أقول " لا شكرا " يقول الشاب " الأستاذ بيشرب قهوة زيادة " ويحرك يده علامة الانصراف للأمين قائلا في حزم " بسرعة لا نريد تعطيل الأستاذ عن زيارته " يشير لي بالجلوس وهو يقول " تفضل" يجذبني غلاف الكتاب، انه مجموعتي القصصية الثانية، يبدأ الكلام على الفور "لا أستطيع أن أصف لك مدى إعجابي بإبداعك، مجموعتك القصصية الأولي قرأتها في جلسة واحدة، وأنا الآن علي وشك الانتهاء من المجموعة الثانية " أقول

بصوت متحشرج" شكرا " لم أعرف هل سمعني أم لا، لكنه استمر في الكلام " لو كنت أتمني أي شيء في الكتابة لن أتمنى أكثر من المكتوب في نصوصك " أهز رأسي علامة الاستحسان لما يقول ومعدتي تتقطع " أشكرك ولكن لا يوجد عمل أدبي مكتمل والنقص صفة من " لم يستمع لي، يكمل كلامه "لا أعرف لماذا لم تأخذ مكان الصدارة بين أبناء جيلك من الكتاب؟" يسكت وهو ينظر في عيني مباشرة ثم يقول "هل تعرف لهذا سببا؟ " أرد " قد يكون السبب إقامتي خارج القاهرة !" يهز رأسه وهو يبتسم "أنت تعرف أنه يوجد بعض الكتاب من المشهورين ويعيشون خارج القاهرة!" أظهر على وجهي علامة اليأس من معرفة الإجابة، فينطلق ويقول " أنا أعتقد أن السبب يكمن في عدم تبنيك للكتابة الواقعية" أقاطعه وأنا أقول "لا أفهم؟ " يرد " أستطيع أن أشرح لك،أنا أعرف أن مشروعك الجديد للكتابة سيكون عن المظاهرات التي تحدث الآن، أنا أرى أنها لن تكون عملا جيدا إذا تحدثت عن المظاهرات بشكل مطلق، وكأنها تحدث في عالم افتراضي، من الأفضل أن يتناول العمل خصوصية المظاهرات في المكان الذي تكتب عنه، وعليك أن تفصل في ذكر المعلومات للقارئ، مثل الأماكن التي يجتمعون فيها للتخطيط ، وأيضا الأماكن التي يتفقون عليها

لتجمع الناس، العمل الأدبي يحتاج أيضا للأسماء الواقعية ، تأكد أن عملا بمثل هذه المواصفات لن يمر أسبوع حتى تجده منشورا في عدد الجمعة في جريدة الأهرام، وإذا كان العمل رواية، فأستطيع أن أضمن لك بحسي النقدي جائزة الدولة التشجيعية ".

وأنا في الطريق أشعر أن رأسي فارغة أسأل نفسي " هل شربت القهوة أم لا؟ " يخرجني رنين هاتفي من شرودي، يأتيني الصوت من الطرف الآخر "الكل في انتظارك هنا " أرد " من تقصد بالكل ؟ " يضحك "كل من تريد الكتابة عنهم "أضحك وأنا أقول " حالا سأكون عندكم " في غرفة صالون بيته، يقابلني بالأحضان، فأضع في يديه الممدودتين أكياس المجلات، ينظر لها بدهشة، فأشرح له، تتحول نظرة الدهشة إلى امتنان، يبدأ في تعريفي بالضيوف، أسلم وأجلس، الصمت يملأ المجلس حتى تأتي القهوة، يمد الجميع يده ويلتقط فنجانه، بعد أول رشفة من فنجاني، يقول الرجل الذي يتصدر الجلسة لي " أريدك أن تحكم ، أيهما الأجمل، فنجان القهوة هذا أم الذي تناولته اليوم في المحكمة مع الناقد الأدبي؟"

صفحة ١٧

نقراتها على

الباب كانت شيئا جديدا عليّ وجميلا، وجهها المبتسم يضيء وهو يطل من فرجة الباب، مثلها مثل باقي أولاد إخوتي، يتجاهلونني منذ أن توفيت جدتهم، كلمة "عمي" بصوتها تملأ المكان بالمرح، تلوّحُ لي ببعض الأوراق:

. أرجو أن تساعدني في اختبار الكلية.

. ادخلي.

تتأمل البيت

.كل شيء كما تركته جدتي منذ أربع سنوات.

تضع الأوراق على منضدة الصالة، تستدير ناحية الباب "لا تنس أن تكتب عدد الدقائق بعد كل مرة"

لم أفهم ماذا تعني، المذكرة مكتوب عليها من الخارج "كلية الآداب قسم علم النفس" في الصفحة الأولى أقرأ: هذا الاختبار للقدرة على التخيل، عليك مشاهدة الصور، والمطلوب منك أن تكوِّن قصة واحدة لكل صورة على حدة ، توضح فيها ما يحدث في كل صورة في هذه اللحظة والأمور التي أدت إلى الحالة، وتصف ما يشعر به الأفراد، اذكر الأفكار التي ترد إلى ذهنك كما هي، ولتشعر بالحرية في ذكر أي قصة تريدها. صور الاختبار ص ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٥.

أمر على الصور سريعا، كلها رسومات بالأبيض والأسود، وتحتها مساحة بيضاء لكتابة القصة، الصفحة الأخيرة بيضاء ومكتوب في أعلاها "تقييم العينة" هل أبدأ الكتابة بترتيب الصور أم كما يحلو لي؟ لم أنتظر، جذبتني صورة الصفحة رقم ١٧، شخص ينام في وسط الطريق ووجهه في الأرض، يبدو أنه طريق سريع للسيارات، راجعتُ

أرقام الصور لم أجدها فيها، أبدأ بصورة لطفل يجلس على عتبة بيت ريفي، يبدو عليه التفكير.

أكتب في وسط الصفحة

ص ١١ "الأولى"

تركتني أمي وذهبت إلى الغيط، بعد أن قامت بوضع العلف للبهائم، كلامها لا يزال يتردد في أذني " إياك والخروج إلى الشارع الكبير، فلسوف تدهسك أي سيارة مسرعة" بعد فترة بدأ الخوف يذهب عنى، أمسكتُ ذيل جلبابي بأسناني وانطلقتُ ناحية الشارع الكبير، قابلني صوت فرامل سيارة وهي تزعق، بعد أن صدمت خروفا صغيرا، شكرتُ الله أنني لم أكن هذا الخروف، بعد أن رأيت دمه يسيل على الأرض، ورجعت لأجلس أمام البيت. " دقائق"

ص ٣ "الثانية "

كان يوما هادئا، ككل الأيام التي مرت علينا في الشهرين الأخيرين، نذهب في الصباح إلى المصنع، نختار الأماكن التي فيها ظل ونجلس، نحكي نفس الحكايات المعادة كل يوم، في هذا الوقت من العام ينتهي

موسم العمل بمجرد دخول الربيع وننتظر الصفارة التي تعلن عن دخول وقت الراحة، نذهب لتناول الطعام، بينما فتحي يمارس عادته اليومية في سرد الحكايات، دخل علينا صاحب المصنع، من ورائه ثلاث عربات نقل كبيرة محملة بأكياس، طلب منا تنزليها قبل ميعاد الصفارة، قمنا بتكاسل والحمولة كانت كبيرة، سمعنا صوت الصفارة ولكن صاحب المصنع ظل ينظر إلى الحمولة، ففهمنا أنه لا يريد منا التوقف، أكملنا إفراغ الحمولة لكنه وجد أننا لن ننتهي سريعا، فزعق فينا بأن حصة الغداء نصف ساعة فقط، نظرنا إلي بعضنا البعض، كنا نعرف أن النصف ساعة لا تكفي لتناول الغداء، لكنها للراحة فقط، فاستلقى كل واحد منا مكانه على الفور، وجلس فتحي في مواجهتنا ووجدها فتحي فرصة عظيمة ليبدأ في اللت والعجن. "٨ دقائق"

لا أعرف ما الذي جعلني أبحث مرة أخري عن ص ١٧، أتأملها مرة أخري وأبدأ: ما الذي جعلك تنام هنا ...؟!

أحاول أن أتخيل أي حدث، أتأملها مرة ثانية، ثلاث ساعات ولا ترد على ذهني أي فكرة، أخرج وأترك كل هذا، ولا تتركني الصورة.

ص ١٢"الثالثة"

عندما وصلتُ إلى غرفة استأجرتها في المدينة الكبيرة التي كنت أدرس فيها، شعرت كأنني أمتلك الدنيا، لكنها عندما تمددت أمامي على السرير، تذكرت أمي و أختي، فأعطيتها ظهري وأخذت أبكي. "دقيقتين"

ص ٢ الرابعة "

أعلم منذ أسبوع أن فيلم عمر المختار سيعرض اليوم في برنامج "نادي السينما"، نمت جيدا بعد خروجي من المدرسة، في المساء شربت شايا كثيرا، واستطعت اقتناص فنجان قهوة، أمامي ثلاثة شهور ليعرف النوم طريقه إلي، قبل أن يبدأ الفيلم بعشر دقائق، أعلن أبي أنه سيأخذ التلفزيون إلى غرفته، وعلى الجميع أن يذهب للمذاكرة، ذهبتُ إلى غرفتي، جلست على مكتبي وفتحت أحد الكتب والغيظ يخنقني. " ٤ دقائق"

أترك هذا كله، وأعود لحياتي، تطل ابنة أخي بوجهها من الباب، تسألني عما وصلت إليه بعد خمسة أيام، أدعوها للدخول وأقول:

. لم يعد أمامي الكثير.

. سأمر عليك غدا.

تتركني وتصعد إلى شقتهم، ثلاثة أيام لم أنظر فيها إلى ص ١٧، أهرب منها، أكتب في وسط الصفحة .

ص ٥ " الخامسة "

حرارتي ترتفع، يومان لا أذهب إلى الكلية، أبي أول من نصحني أن أذهب إلى الدكتور معلنا أن برد يناير صعب وأنني على بعد أيام من امتحان الترم، لم أهتم وظننت أن قرص مضاد حيوي سينهي المشكلة، الأمور بدأت في الزيادة، خصوصا من صلاة الفجر، بعد عودته من العمل، لم يستطع أبي كتم غيظه، جسدي به حريق من الداخل، يقترب مني، يضع كفه على جبهتي، أمر أمي بعمل كمادات باردة قبل الاتصال بالدكتور. "١٥ دقيقة"

ص ٦ " السادسة "

بعد عودتي من العمل وجدت أمي وأختي تجلسان في الصالة، يبدو عليهما الوجوم، حاولت الاستفسار لكنهما لم ينطقا، أخيرا قالت أمي:

ابن خالتك بعث أمه ليطلب أختك للزواج، أختك لم تراع الأصول وأعلنتْ الرفض في وجه خالتك على الفور، خرجت وهي تقسم بأنها لن تعود إلى بيت أصبح محرما عليها. وضعت أمي يدها علي خدها وهي تقول: هل يرضيك هذا ؟! "٣دقائق"

لم أستطع الصمود أكثر من ذلك، مرت خمسة أيام وأنا أتجاهلها، أتأملها مرة أخرى، الصورة لم تعد لشخص ينام في وسط الطريق ووجهه إلى الأرض، الآن أصبح وجهه ينظر لي وهو يبتسم، أتأكد من رقم الصورة ، إنها فعلا " ١٧ " ، أشعر وكأن ثعبانا قد لدغني.

ص ١٥

كنت عائدا من سهرة مع أصدقائي، والوقت تجاوز الثانية صباحا، أجد صعوبة في العثور على تاكسي، عندما أخبر أي سائق بالعنوان ينطلق بالسيارة، توقف سائق، لم أخبره بالعنوان إلا بعد أن ركبت، فقال لي "سأنزلك قبل العنوان بقليل" شكرته، فالمنطقة جديدة، وحادثة القتل التي حدثت لسائق تاكسي جعلت الجميع يرفضون الذهاب إليها ليلا، بعد أن نزلت من السيارة ، بدأت في الصفير لأشجع نفسي فأنا أقطع هذه المسافة يوميا بعد انتهاء سهرتي مع أصدقائي، لا

أعرف لماذا بدأ يتقطع الصفير من فمي؟!، النور الذي يصلني من البيوت المتناثرة في المكان لا يكشف شيئا، هل أتخيل أم أنها خطوات تلاحقني؟، أحاول الإسراع لكن الخطوات أصبح عددها أكثر وامتدت يد من الخلف لتمسكني، أستدير لأرى، الأيدي أصبحت كثيرة ولا أستطيع أن أخرج صوتي.

"نصف نهار"

ص (١٣)

بعد سبع سنوات غربة في دول الخليج ، عدت وكلي شوق لرؤيتها، ونحن في السيارة أخبرتني أختي أنها توفيت من ثلاثة شهور، ولم نرد أن نخبرك، تلك كانت وصيتها، أطلب من السائق الذهاب إلي المقابر، أقف أمام قبرها، أتذكر دعاءها لي بأن تراني عريسا. (٣ دقائق)

أمد يدي لأفتح ص ١٧ وأقول لنفسي أنني سأكتب ما سأراه مهما تغير.

ص ١٧

كيف تستطيع أن تفعل هذا بي؟!، تنام ممددا في الطريق، والماء يتقاطر منك، تنظر إليَّ بعينين تحملان نفس الابتسامة التي رمقتني بها وأنا أخرج من منزلك، ألا تري أن الوقت قد حان لتقوم وأنا أضرب جرس بابك لتفتح لي؟ "ثلاثة أيام"

أقف على السلالم وأنادي بأعلى صوتي، تطل ابنة أخي من الدور الثالث، أخبرها أنني لن أكتب أكثر من هذا، قبل أن ترد، أترك الورق على درجات السلم، أدخل شقتي وأغلق الباب بعنف، تمر الأيام ولا أحد يطرق الباب، مرة أخرى تطل بوجهها الجميل من الباب، أهز لها رأسي بالدخول، تقترب وتقول: الدكتور المشرف يتمنى أن يراك، تمد يدها بكارت: وهذا عنوان عيادته.

الكشف

يلوّحُ من أول الأرض أن أتوقف،

فأتوقف،

يركبنا الصمت، لا يزال بملابس السفر، لم أعد الآن أحسب الأيام، منذ أن تركني أنام حتى الضحى، صرت أحفظ ما يفعله، عندما يعود من مشاويره من مركز الشرطة، أو بيت أي أحد من الذين يعرفون السكة، يلوذ بالأشجار التي زرعها أخي على رأس الأرض، يجلس بجوار

إحداها، يعطي ظهره لأشجار العنب، فأعرف أنه يريد الصمت التام، كأنني أكتشفه من جديد؟

عم أسأله الآن؟ عن سفره وما حدث فيه، هل أخبره ابن عمي بالمكان؟ أم أسأله عن عناقيد العنب التي بدأت في التهدل؟ وأوراق العنب التي لم تقطع إلى الآن، لتعطي للشمس فرصة تلوين العناقيد باللون الأصفر الكهرماني، لن يتزاحم علينا التجار مثل كل عام.

هل أنسى كل هذا وأخبره بما شاهدته هنا بعد الفجر؟ ، أم أن ما رأيته ، كان من كثرة السهر؟ الأجازة الدراسية تمر، لم يعد بي شوق للسهر، كانت مشكلتي الدائمة معه، يتركني أفعل أي شيء، ولا يتركني نائما وأترك معركة الإفطار والعشاء مع العصافير.

ألم يأخذني النوم في ذلك اليوم حتى استيقظت علي البيت وهو خال، أو هكذا شعرت؟ وقفت في صالة البيت أزعق وأنا أقول "العصافير أكيد بهدلت العنب" أعرف أن أمي تكشفني، هي من سيدافع عني أمامه وستحكي له ما أفعله الآن، لم تخرج من غرفتها، يصلني صوت بكاء مكتوم، أحاول الاقتراب، يصلني أكثر من صوت من غرفة أمي وغرفة أخواتي، خشيت أن تكون زوجة أخي تبكي معهن،

فلم أقترب، فأنا الضحية عندما يتشاجرون، حملت الأكل المتوفر في المطبخ، وذهبت إلي الغيط.

في الأرض حملت شخشيختي، وبدأت الجري بين خطوط العنب، أصرخ وأهز الشخشيخة، فتطير العصافير أمامي حتى آخر الأرض وتعود لتهجم علي العناقيد، أتمنى أن يأتي أبي ويراني الآن، ترتفع حرارة الشمس، بدأت العصافير في الانسحاب، علا صوت آذان الظهر، الغيطان صامتة، الطريق إلي البلدة أصبح خاليا، ظل الكافور مكان جيد لمراقبة الطريق، دائما كل يوم بعد الظهر بساعة، يظهر أبي علي حماره من أول الطريق، كأنه نقطة صغيرة، تكبر شيئا فشيئا، حتى يصل عندي، لأركب الحمار وأعود للبيت للغداء، بعد العصر أعود نقطة تكبر شيئا فشيئا في اتجاه العنب.

أنتبه على صوته، يأتيني من بين خطوط العنب " رح إلى البيت الآن، ولا تعد باقي النهار" لم أستطع تصديق نفسي، وأيضا لم أهتم لماذا لم يأت راكبا الحمار، المهم أنا في أجازة حتى ظهور شمس اليوم الثاني، رميت الشخشيخة علي الأرض، لم أضعها في يده كما نفعل كل يوم، أنظر لوجهه وأنا اعبر القنطرة، لا أعرف ما الذي في وجهه مختلف؟ ،

"أخذوا أخوك قبل الفجر وأنت نائم " لم أفهم ما قاله، أحرك رأسي عدم الفهم، " من أخذ من ؟"، "أمن الدولة" أحاول العودة إليه، يشير بحزم في اتجاه البلدة.

منذ هذا اليوم وهو يتجنب العودة إلي البيت، يتحاشى وجه أمي، وعينيها الرطبتين دائما، ولسانها الذي لا يهدأ من السؤال، زوجة أخي التي تحاصره "طلال فين يا خال؟" أقسم لهم أكثر من مرة أنه عمل كل ما يستطيع،في مركز الشرطة قالوا "دي مباحث أمن الدولة من ميت غمر، حملاتها بتنزل بدون علمنا" ، لتبدأ أمي وزوجة أخي "نصحناه يحلق ذقنه" يزعق أبي "وحدوا الله ماتزودوش علينا الهم، نصيبنا كده" يتركهم ويعود إلى العنب، يعطي ظهره إلى كل شيء، ينظر إلى الترعة والطريق من بعدها، ينتظر أن يرد السلام علي أحد، قل من يعدون القنطرة للجلوس معه تحت الأشجار، والآن أشعر أن من يلقون السلام يقلون، أصبح يتجنب الناس، بعد قضائه لصلاته، يجلس متطلعا إلى السماء، عندما يشعر أنه وحيد بين أشجار العنب، يدعو الله بصوت عال.

بالأمس اختنق بالبكاء وهو يدعوا ، لمحني وأنا أتلصص عليه، أشار لي ، مررت من بين الخطوط واقتربت منه، وضع يده علي كتفي "أنا مسافر للقاهرة،الأرض أمانة في يديك" أسأله "هل اتصلت بابن عمي ليجعلك تراه؟" يشيح بوجهه عني "ما الذي يمنعك؟" يصمت "على الأقل اتصل" يخرج صوته مخنوقا " لا أعرف له رقم ، باقي العائلة يقسمون أنه بعد أن ترقى لا يعرفون رقم تليفونه الجديد، الآن يخافون عليه منا !"

في الفجر أيقظني، أخرج وراءه إلى الصالة، تعطيه أمي عباءته، زوجة أخي تقول "هات لنا أي خبر من هناك أمانه عليك يا خال" ، تعقبها أمي "إحنا عرفنا إنه بقى مساعد لوزير الداخلية ذكي بدر" " ربنا يسهل يا جماعة"، أبي يرد وكأنه استمع طوال الليل لنفس الكلمات، قبل أن يضع عباءته نظر إلي نظرة، لم أرها في عينيه من قبل ، ثم ألقى السلام علينا جميعا وخرج تاركا وراءه الباب مفتوحا، لأرى الشارع والظلام يلف كل شيء.

في الطريق إلى العنب ، لمت نفسي أنني لم أسال أمي هل تريد أي شيء قبل ذهابي إلى الغيط؟ إنها المرة الأولى التي أرى فيها الشمس وهي

تتمدد فوق رؤوس الأشجار، تنكشف أمامي تفاصيل الغيطان شيئا فشيئا .

ألمحه من ظهره في نهاية الأرض بجلبابه الأبيض، لماذا لم يسافر؟ أنتبه أن أبي ارتدي جلبابه الأسود للسفر، إنه حرامي، أجري إليه، في نهاية الأرض لم أجده، أشاهده مرة أخرى في رأس الأرض، أذهب ولكنني لا أجده، هل خدعتني عيناي؟ أتجول بين خطوط العنب، ليس له أثر، أهز شخشيختي وأطارد العصافير في معركة الصباح، قرب الظهيرة بدأ يظهر التهدل علي عناقيد العنب من العطش، لمجرد اللمس تنفرط الحبات الأكثر حلاوة،أبي دائما يحذر من ري العنب بعد ثورة ناصر، الماء الزائد يجعل حبات العنب تنفجر، قبل موسم الجمع كل عام، يطلب من أخي أن يلم التراب حول جذوع الأشجار، "التراب يحن علي الجذع والندى يجعل الشجرة تبلع ريقها" يقولها أبي بنفس الصوت وهو يحمس أخي علي العمل كل عام، وفي أقل من يومين نشاهد العناقيد وهي منتصبة في وجه الشمس،يقول أبي لأخي وهو يهز أحد العناقيد "العناقيد تدعو لك" لا تسقط أي حبة من العناقيد، ثم ينظر ويقول "متى تدعو لك؟" ، يرد أخي " طالب ثانوي يا حاج ، إحنا

نفسنا في دكتور في العائلة" كان يحرك شعري بيده، وكأنه يمسك بحرص أحد العناقيد.

أشعر بقشعريرة تسري في جسدي وكأنه يقف معي ويشاهد أبي الآن، الذي يشير لي من رأس الأرض مرة أخرى يستعجلني، أحسم أمري ،سأسأل أبي هل عرف مكان أخي، قسمات وجهه المتهدلة تقيدني عن السؤال.

أسند ظهري لإحدى الشجرات علي مقربة منه،لا يحرك رأسه، يعلق بصره في السماء، لم أجد ما أفعله، غير أن أراقب الطريق إلى البلدة مرة، وأنظر الناحية الأخرى أراقب باقي الطريق الممتد في باقي الغيطان مرة أخرى، نقترب من العصر، الحر الشديد يجعلك تري السراب فوق الطريق، أدير وجهي مرة ناحية طريق البلدة، ومرة أخري ناحية الغيطان ،لا أعرف كيف ظهر هذا الرجل ولكنني أراه قريبا جدا، لم يبدأ نقطة صغيرة، ثم تكبر شيئا فشيئا، حتى يصل إليّ فأراه واضحا، هل خرج من الأرض أم نزل من السماء؟ إنه هو، نعم، هو نفس الرجل الذي رأيته بعد الفجر اليوم، يلبس نفس الجلباب الأبيض، ويلبس الصديري الداخلي فوق الجلباب، لا أعرف كيف احتفظ بملابسه

نظيفة، صوت غنائه بدأ يصلني، يحرك يديه وعصاه في تنافر واضح مع اللحن، يغني بعض أبيات للمتصوفة، أشك أنه يغني بشكل صحيح ، يعيد ويكرر اللحن وهو يقترب منا ،لا يحرك أبي رأسه وكأن الأمر لا يعنيه، يقف الرجل علي القنطرة، يلقي السلام وصوته يشي بالفرح:

_ لله يا حاج عنقود عنب للغدا

يشير أبي برأسه لي تجاه الأرض ، أقوم لأحضر العنقود

_أرفع رأسك يا إبراهيم

الصوت القوي جعلني أتلفت ورائي ،

_غضبان أنك لم تدخل حتى من البوابة، وابن أخيك لم يرد عليك

يمد الرجل يديه، يمسك بهما ذراعي أبي، الذي استسلم ووقف معه،

_ أقول لأمه ايه ؟ وأسكت مراته ازاي ؟!

_اثبت يا إبراهيم المشوار لسه طويل ، لكنه راجع بالسلامة، ارمي أحمالك علي صاحب الخيمة الزرقاء.

تنساب الدمعات هادئة من أبي، لا يمسحها، يأخذ أبي العنقود من يدي ويضعه في يد الرجل، يهز الرجل العنقود وهو يقول: "عنب الحاج إبراهيم عبد الهادي لا يزال لونه أخضر" ، يغادرنا الرجل ، وجه أبي الذي أشرق جعلني أسأله هل هذا الرجل من بلدتنا، ينفي أبي بشدة معرفة هذا الرجل، انتبه أبي أن الرجل ترك العنقود، فهمت ما يريده أبي قبل أن ينطقه ، أخذت أبحث عن الرجل، ولكني لا أجده، أحاول في كل الاتجاهات، لا أثر له على المدى، وكأن الغيطان ابتلعته، من بعيد أرى أبي وقد خلع جلباب السفر، وانحنى على شجرة ، يقطع الأوراق من على العناقيد ، ليعطي فرصه للشمس لتلون الحبات باللون الأصفر الكهرماني.

محاولة أخيرة للهرب

لا تستقر رأسي على مسند الكرسي،

أتركها لتستقر على الزجاج ، ألمحها في المرآة، تجلس في الكرسي الأخير، متشحة بسوادها، ألتفت فلا أجدها، تحرك أخي ناحيتي، يشير لي بالماء، فأحرك رأسي بالنفي، منذ خروجنا من المعهد ولا أحد يريد النظر في عينيي، وكأني لا أعرف شيئا، أمي الوحيدة التي نزلت الدموع من عينيها عندما تلاقت نظراتنا، أبي في المقعد الأمامي يقرأ القرآن بصوت عال، أريد إخباره بأن العجل لن يقفز من سيارة النقل.

ألم تكن تلك هي البداية ؟ عندما أجتر الأمور مرة أخرى، أرى أنها كانت البداية لأشياء كثيرة، ألم نبدأ من حينها التضحية بعجل كل عام؟ ويسقط غطاء الإناء الساخن على إصبع قدمي، لأبدأ في رؤيتها تجرى لتلحق بالقطار، وأخطئ أنا بعد ذلك علي نفس الرصيف في ركوب القطار، لأجد مياه البحر أمامي، أخلع حذائي وأسير علي الرمل ، أنظر إلى قدمي التي أمسكها الطبيب وهو ينظر في عينيي " إن أخطأت فستفقدها " ثم يمسك الإصبع الوسطي ويبدأ .

بعدها أخطأتُ وأنا أنزل من القطار، بأن جعلتها تسير أمامي ، فأفقدها وسط الخارجين من المحطة، أحاول أن أعثر علي ردائها الوردي، فأشعر أن كل الفتيات يلبسن مثلها، ويساعدنها علي الهرب مني ، المطر الكثيف يحتجز الناس في أنفاق المحطة، لتزداد حيرتي في العثور عليها ، أذكر تحذير أمي لي بأن جسدي لن يتحمل هذا البرد ، تتركني وهي تنظر إلى وجهي ، فأعرف أنها تنبهني إلى أن شعري لم يكتمل في الظهور إلى الآن، في ظلام النفق لا أعرف هل استشعرت يدي يدها فأخذتْها في حضنها؟ أم انزلقت يدها في يدي لتجرني إلى الخارج، وتأمرني بعينها السماويتين، بأن أخلع الشال وغطاء الرأس، فأشعر بالماء المتساقط على جلد رأسي، فأرقص وسط الشارع وأدق بقدمي في المياه

المتجمعة، تضع يدها علي خدي وتضغط، فأشعر ببعض كتل الورم الصغيرة تنتشر في جسدي، تضغط أكثر فأشعر بالدنيا تدور وعيناي تتوهجان من الألم ، لتحيلك الأشياء دائما إلي البدايات.

أفتح عيني المتورمتين علي سؤال أخي " هل تريد بعض العصير ؟" كانوا قد توقفوا بالسيارة في استراحة علي الطريق ، أرد " أشعر بالبرد " يضع حولي البطانية وهو يقرأ القرآن " هل تريد أي شيء؟ طعاما أو ماء ، فالطريق طويل؟" ، أجعل رأسي تنزلق مرة أخرى ناحية زجاج السيارة، أحاول أن أفرد رجلي، يمسك بها أخي: هل تريد أن تخلع حذاءك " لم أستطع الإجابة فهو الذي ألبسني إياه ، كنت دائما أمد قدمي وأنا جالس في القطار لشعوري بتنميلها، وأترك عيني تتجول في غيطان الصباح، أنتبه على حذائها الذي يفرك حذائي، وعندما تضغط بشدة ، أشعر بالألم يتوهج في عيني، أشاهد رداءها الوردي وهو يتحول إلي اللون الأحمر لتظل قدمي لا أشعر بها حتى أرفع الغطاء والطعام يغلي " هل تريد شيئا ؟ " نطقتها أمي وهي تضحك، أخرج يدي من الإناء علامة للاستسلام، أخبرها أنني أريد قطعة لحم ، فأنا الذي أمسكت برأس العجل والجزار يذبحه، وأيضا نحن في يوم العيد، تتحرك أمي ناحيتي فأحرك الغطاء بسرعة، فينزل على إصبع قدمي

فيتورم، لتكون البدايةبأخذ عينة من الدم، ثم أشعة بالصبغة وتحليل أنسجة، لتجبرني أمي على مضغ اللحم، وتخبرني والجميع حولي في المستشفى، أنها قد حفظت لي نصيبا كبيرا من الأضحية، يضيف أبي " لقد أرهقني العجل ونحن نشتريه من السوق، فقد حاول القفز من السيارة أكثر من مرة، ولم يهدأ إلا عندما بدأت أنا والسائق في قراءة سورة يسن " لا أريد أن يراني أحد هنا من أصدقائي " سكتوا جميعا وأصابهم الوجوم، حتى أنهم لم يستطيعوا الجلوس إلي نهاية وقت الزيارة.

مر أسبوع منذ دخولي هذا العنبر، تبدأ دورية الليل من الأطباء للاطمئنان على المرضى، وتحضيرهم لكي يتم حقنهم في الصباح بالجرعات، بعد فترة تهدأ الحركة في العنبر ويحاول الجميع النوم، أستيقظ علي صوت حشرجة من السرير المقابل، نزلت من السرير أبحث عن أي دكتور، الجميع نائمون، أيقظتهم جميعا، تحرك الدكتور المناوب معي بهدوء، أخبرني برقم سرير المريض قبل أن أخبره، بعد الكشف عليه غطى رأسه، وأمر بنقله إلى المشرحة، أجاب على الحيرة التي تملأ وجهي ، بأن جسد هذا المريض قد استسلم منذ فترة، بعد مغادرة الدكتور لم أستطع البقاء في العنبر، لم أعرف إلى أين أذهب،

أتجه إلي المصعد لأجد هناك نقالة عليها جثة، شعرت وكأن كهرباء لمستني، فبدأت في الجري على السلالم أدور مع الدرجات، أتجول بين الأدوار وينتهي طريقي دائما إلى المشرحة، بدأت أشعر بالتعب، مع تباشير الصباح عدت إلي عنبري، لأجد ثلاثة أسرة أخرى تم إخلاؤهن.

أنتبه لكف أخي وهو يضعها على كتفي " سوف نتحرك الآن " أتأمله بإمعان شديد، فترتسم الحيرة على وجهه " هل تعرفني ؟ " أخبره باسمه واسم أولاده، يحاول تنفيذ ما سمعه من الدكتور في معهد الأورام " المسألة مسألة وقت، سيبدأ في الدخول في حالات من عدم الوعي " أصبح بكاء أمي مسموعا أكثر من صوت السيارة، ضمني أخي إليه بقوة كما فعل يوم وجدني على الشاطئ بعد هروبي، فقد زاد عدد الموتى في العنبر، كنت قد أخطأت وركبت قطار الإسكندرية، أسير حافيا على البحر، أنظر إلى إصبع قدمي المتورم، وجدتها ترتدي رداءها الوردي، هي الوحيدة التي لم تجزع من شعري المتساقط ، شجعتني ابتسامتها على الاقتراب، ومحاولة إخبارها أنني قد رأيتها أكثر من مرة علي رصيف المحطة، تقوم من جلستها وتسير في الماء، عيناها تشجعني على النزول خلفها، أبي هو الذي همس في أذني في المرة الثانية " ارحم نفسك وارحمنا ، ثلاث جرعات إلى الآن لم تأخذها " عندما نظرت في

عينيه ، كانتا حمراوتين، وكأنه كان يبكي لفترة طويلة، لم أستطع تفسير عثورهم عليّ في كل مرة بهذه السرعة.

تحت ضغط بكاء أمي وتوسلات أبي وإخوتي عدتُ إلى المعهد،كثير من مرضى العنبر تم تغييرهم، كان الاتفاق مع أبي وإخوتي أن آخذ الجرعة ويعيدونني إلي البيت.

عندما كان المطر يتساقط على رأسي، همستْ لي بأن علينا الذهاب إلى البحر مرة أخرى عندما ينبتُ شعري، أسير بجوار البحر أنظر إلى الفراغ الذي خلفه إصبع قدمي، هددني الدكتور بما هو أكثر عندما قرر بتره، فليقطعوه،ألم يكن هو الذي دلهم علي جسدي، وما يزحف فيه، وجعلهم يتقاذفونه فيما بينهم؟ أنتبه علي ظهورها بالرداء الوردي، تمسك بيدي، وابتسامتها تتحول إلى صخب عال، وفيما نحن نوغل في البحر، يتحول رداؤها إلى اللون الأسود.

في انتظار الآتي

رنين الهاتف

للمرة الثانية يجعلني أفتح الخط، في الأولي كان الرنين مرة واحدة هو العلامة ، بدون النظر إلى الرقم ، أضع الهاتف على أذني، يأتيني الصوت من الطرف الآخر متقطعا، يحاول أن يلتقط أنفاسه "رأيت اسمك أنت وأخيك في الكشف" لم أرد فاستكمل "كانوا يعتقلون أخي عبد الرحمن، أمسكني أمين شرطة من ذراعي وقال أنت اسمك في كشف المطلوبين، فقلت له أنا من المفرج عنهم أول أمس، فأقسم أن

اسمي موجود في الكشف، فعرضت عليه أن نراجع الكشف سويا، فلمحت اسميكما، حاولا الهرب الآن" ينهي المكالمة قبل أن أسأل أي سؤال، ليست المكالمة الأولي وليس الإنذارالأول، في بعض الأحيان يكون الاتصال لي، وفي أحيان أخرى يكون الاتصال له، والذي يعرف أولا يتصل بالباقين، ينخفض نور المحمول تدريجيا، ويعود للغرفة ظلامها، هل نام الآن؟ منذ بدأت الاعتقالات ونحن نقسم النوم علينا، بعد عدة أيام ، قال لي وهو يتثاءب "أمك لا تنام طوال الليل" فانهار النظام الذي اتفقنا عليه، أرتدي ملابسي بهدوء،أتأملها وهي نائمة، وجع الحمل لم ينسها أن ترتب ملابس الزوغان، هي من أطلقت عليها هذا الاسم، تقولها وهي تضحك، ثم تضيف وهي تمسك بطنها من كثرة الضحك "أول ما أسمع صوتهم وهم يطلعون السلالم هصرخ وأقول يا باشا الرجل ده خاطفني" أرد عليها وأنا أضحك "لا يحتاجون إلى سبب ليقبضوا عليّ، توجد عندهم صور كثيرة وأنا أهتف في المظاهرات" أحبت أن تشترك في السهر ليلا ولكن الحمل يجعلها تنام، في الأيام الأخيرة لم يعد نومها منتظما، وعندما تنام، تنام بعمق شديد، أصبحت تستمتع بالرفس بجانب بطنها،كل يوم يمر تتكور بطنها أكثر ويزداد القلق في عينها، في كل غارة بسيارتهم ليلا يتناقص

الأصدقاء من حولنا، تمنيتُ عليها أكثر من مرة أن تذهب إلى أمها في الشهر الأخير، ترد بأنها تريد أن تكون معي حتى آخر لحظة، أنكس رأسي وأنا أقول " ألست أنا من يجب عليه أن يقول هذه الكلمات ؟" لم أجد الجاكت، هل أسألها أم أتركها؟ إرهاق الأيام الأخيرة يملأ وجهها، أستطيع في الظلام أن أجد الجاكت على الشماعة، أتحسس جيوبي لأتأكد من وجود كل ما أحتاجه، أمام الباب أسأل نفسي "ألا يجب أن تعرف إلى أين أنا ذاهب ؟" أنزل السلم بهدوء، أمام باب شقة الدور الأول، أستجمع هدوئي، أحاول أن أسمع أي صوت في الداخل، لا أعرف هل يوجد أحد مستيقظ، أفتح الباب بهدوء، تخرج أمي من غرفتها،لا يوجد في عينيها أثر للنوم، تسأل "هل جاءت مكالمة؟" أهز رأسي "سيأتون لنا نحن الاثنين " ترد في غيظ "لكنك لم تنزل المظاهرات منذ استلامك العمل في المستشفى"أسير ناحية غرفة أخي "من أول ظهور الحمل، المهم الآن أن نخرج حالا" تسبقني وتدخل الغرفة، بهدوء تضيء نور الغرفة، تهزه بهدوء، يتقلب ويفتح عينيه، عندما يراني يقول"هل جاءت إشارة جديدة؟" أهز رأسي، فيقوم بسرعة ويرتدي ملابسه " من بعث بالإنذار هذه المرة" "هذه المرة ليس إنذارا " "كيف عرفت ؟" أعيد عليه تفاصيل المكالمة، يمسك حذاءه

ويجري ناحية الباب، أصرخ فيه "إلى أين سنذهب ؟" "ليس هذا هو المهم، المهم الآن أن نتأكد أن السكة خالية" يتجه إلى البوابة، يهز رأسه "من الأفضل أن نرى الشارع قبل أن نخرج، لن نفتح أي شباك حتى لا يشعروا بنا، سنكشف الطريق من السطح" يقفز على السلم وأنا وراءه لا أستطيع أن أجاريه.

علي السطح يقابلنا برد يناير، لا أستطيع السيطرة على رعشة جسدي، أطل على الشارع، يهمس " لا تظهر نفسك لهم" أرد عليه " الشارع خال " لم يرد وأسرع في نزول السلم .

في الصالة كانت زوجتي تقف مع أمي، تحاول أن تمسح دمعها "هتمشي من غير ما تقول لي؟" لم أعرف ماذا أقول فصمتُّ ، تربت أمي على كتفها، يزداد بكاءها، تحاول السيطرة على نفسها، وتمد يدها إليّ "دي كل الفلوس " أرد يدها ولا أعرف ماذا أقول،يقاطعنا أخي "هنروح فين؟ " ترد أمي "عند جدكم مثل كل مرة " أرد "الناس كلها أصبحت تعرف أننا نذهب لجدي كل مرة، لابد أن نغير المكان " يرد أخي "نذهب إلى أي أحد، من الممكن أن نذهب ....." تقاطعه أمي "لا تذهب إلى أي أحد، أنت الآن لا تعرف من معك ممن عليك " يرد أخي بضيق "اتفقوا

الآن لنخرج بسرعة من هنا" تتأوه زوجتي،تمسك ببطنها، وتذهب لأقرب كرسي، أسندها وأجلسها، أربت على كتفها وأقول لأخي "أخرج أنت الآن " يرد في اندهاش " وأنت؟ " أنظر إلى أمي وأقول "ما رأيك؟" ينفعل أخي أكثر ويقول " لن أنتظر أحدا " يجري علي الباب فأجري وراءه وأنا أقول "من الجائز أن يكون استدعاء عاديا لمدة يوم أو يومين ونعود" يستدير لي ويقول "أنت تضحك على روحك، إنهم يسجنون الناس بدون أدلة " أضع يدي على البوابة لأمنعه من الخروج حتى أكمل كلامي "قد نعرض على وكيل نيابة قلبه طيب" ينظر لي في سخرية، ويحاول أن يرفع يدي عن البوابة ،نسمع صوت سيارة تقف بجوار الباب، يقول في فزع "أكيد هم، ما العمل؟" أشير إلى السلالم ، وأهمس "اهرب من سطح بيتنا إلى سطح الجيران ، حتى تصل للشارع الكبير، أريدك أن تفعله بسرعة وفي هدوء " أدفعه " سأعطلهم حتى تبقى في أمان " يبدءون الطرق بشدة على البوابة، أعود لداخل شقة أمي، يقفون فزعين، أشير إليهم علامة الصمت، وأطلب منهم الجلوس، أذهب إلى شباك المطبخ، أفتحة بعنف، يصطدم بالحائط محدثا صوتا عاليا يكسر به سكون الشارع الخلفي، أسمع صوت يقول "الشباك الخلفي انفتح يا باشا!" يأتي الرد "أي حد يخرج، أضرب النار

مباشرة " يزاد الطرق شدة، أشعر وكأنهم سيخلعون البوابة، أقترب منها وأقول في هدوء "حاضر حاضر ، أنا أبحث عن المفتاح " يأتني السباب من الخارج ، أسمع صوت حازم "سنخلع الباب" فأرد في هدوء "حاضر يا باشا " أزيح التراس الحديد، أفتح البوابة بالمفتاح وأنا أقرأ المعوذتين، أسال نفسي هل وصل أخي للشارع الكبير، يدفعون الباب بكل عنف، فيعلو في الداخل بكاء أمي وزوجتي.

اغتيال

لا أعرف ماذا أفعل،

لقد صاروا ثلاثة، يحمل كل منهم عصاه، لم أنظر ناحيتهم منذ خروجي من البلدة، كان اتفاقي مع أبي إن لم أجد شجرة سأدق وتدا وأقيده فيه، ثم أتركه يموت وحده، لكنهم يريدون أن يموت على أيديهم، لن يلمسه أحد حتى وإن ظللت أحرسه حتى تخرج روحه، اقتربنا من النهر، أرمي المقود على رقبته، وأنا أفسح له الطريق، خطواته لم تعد منتظمة، هل سرى السم في جسده ؟ انطلق بأقصى سرعه عندما

تبين أنه طريق النهر، لم يستطع أن يكمل، اندلق علي الأرض، " هجوم " يتصايحون وهم يجرون ناحيتنا، يرفعون عصيهم، أقف في عرض الطريق، أرفع عصاي وأزعق "إياكم والاقتراب منا"، تراجع أخو الفتاة وهو يشير بعصاه ناحيتنا "لن يفلت منا"، يشير للباقين برأسه، فيتراجعون معه، أربت على رقبته، يثنيها وينظر إليّ، لا أستطيع أن أضع عيني في عينيه ، يدير رأسه ناحية النهر ويزفر بأنفه، أليس من حقه أن يشرب الماء قبل أن يموت؟ إن كان ولابد من الموت فليمت والماء يجري في عروقه، البيطري خيرني بين سم يقتل على الفور وآخر يقتل بعد يوم أو أكثر، في البيت ثار أبي "كنا نريده أن يموت علي الفور بدلا من أن ننتظر يوما بأكمله، ويسحب بعربة كارو، يراه كل من له ثأر فتبرد ناره " عندما لم أرد عليه قال في حسم "سيظل حنكه مربوطا حتى يموت، وفي الظهيرة تذهب به إلي المصرف"، فيقولوا ما يريدون ، إنما لن تذهب إلى المصرف، لن يسلخ أحد جلدك قبل أن يبرد جسدك، سأجعلك تشرب قبل أن تموت، ما الذي سيحدث؟ أحاول مع عقدة الحبل حول فمه، "أوعى تفكه هيعضك " وانطلق الولد في تقليد نباح الكلب، فانفجروا جميعا في الضحك، لا يعرفون من أنت، منذالصف الرابع الابتدائي ونحن سويا، لا تستجب لكلام أحد إلا

كلامي، تبدأ في النهيق عندما تسمع صوتي في الشارع، ضربات الفأس لا تزال علاماتها علي وجهك، حول عينيك دماء جافة، كل هذا حدث بالأمس، وأنا أقص عناقيد العنب مع الأنفار، وصلنا الصراخ أولا، وبدأت تتداخل الأصوات مع الصراخ، لم أجر مع الجميع، انقبض قلبي، أقول لنفسي إنها الآن المرة الثالثة، عندما وصلت حاولت أن أمنع نفسي من النظر ناحية الفتاة الممدة علي الأرض، لكنني لم أستطع، فخذ الفتاة ممزق وهي بدأت تغيب عن الوعي، كان الجميع ينهالون عليك بالضرب، أبي أشار إليه وقال " لابد أن يقتل اليوم"، كلمته أخرست الجميع ، أتحسس العقدة حول فمه مرة أخرى، كان شرط أبي ليجعله يبيت في الحظيرة أن يربط فمه، لم أستطع أن أراجعه في أمر قتله، لقد فعلها للمرة الثالثة، لم أجد ما أقوله، في المساء أخبرني أبي أنك قد رفعت الفتاة من فخذها حتى ظن الجميع أنك ستخلعه بفمك ، أربت على رقبته "من أين جاءتك كل هذه القسوة ؟! " أفك الحبل عن فمه، يحرك فكيه أكثر من مرة، ويخرج لسانه، يضع رأسه مرة أخرى علي الأرض ويزفر زفرة طويلة،أرفع رأسه يحاول الوقوف معي لكنه لا يستطيع ، هكذا لن يشرب، الحل في أن أجد أي زجاجة، أبحث بين الغاب الذي ينتشر بشكل متقطع على

الشط ، أجد واحدة من زجاجات البلاستيك ، أملؤها بالمياه ، أفرغها على رأسه، يلعق بلسانه الماء المتساقط ، يستسلم لي وأنا أضعها في فمه، أرفع رقبته عاليا، أسمع صوت المياه وهي تسقط في جوفه، سبع زجاجات حتى امتلأ جوفه، أراح رأسه علي الأرض، ينظر إلي، لأول مرة أشعر بنظرته جوفاء، لا يقول بها شيئا لي، ارتخى جسده، وسكن تماما، هل فعلها وذهب؟ هل خدعني البيطري ؟ لم تنقض مدة السم ، الآن لم يعد بيني وبينه غير المقود، سأخلعه وأعود به إلى أبي، في حركة واحدة يرفع رأسه مع رجليه الأماميتين ، وفي الحركة الثانية وقف تماما، وجهه في وجهي، ينظر لي بنفس النظرة الخالية، أقترب من رأسه لأخلع المقود، يتراجع خطوتين ثم ينطلق برأسه، يغرسها في صدري،ضحكات الثلاثة هي أول ما يصلني وأنا ممدد على الأرض، كل ما جاء في رأسي البنت بالأمس وهم ينقذونها منه، يقترب مني وهو يحرك رأسه بعصبية ، أسمع صرير أسنانه، يدي تبحث عن عصاي، يقترب أكثر وهو يحاول عضي، أرفسه بقدمي، أحاول الوقوف ولكنه لا يعطيني فرصة، أسب وألعن فيه وأنا أصرخ، يزداد شراسة، بدأت الضربات تنزل عليه من الثلاثة الذين تجمعوا حوله، يتراجع من كثرة ضرباتهم ،ألتقط عصاي وأشترك معهم، يتراجع عندما يجد نفسه

سيقع في النهر، يعطينا ظهره ويبدأ في الرفس، يفتح لنفسه طريقا يهرب منها، "هل نتركه؟" يسأل أحد الثلاثة، أرد عليه " إذا تركناه لن يتركنا،أنا أعرفه" نراه من بعيد ينظر ناحيتنا، يبدأ في الجري، نصطف بعرض الطريق، كل منا يرفع عصاه، وأنا أقف في المقدمة.

شجرة وحيدة أمام المقبرة

فاجأني

الفضاء العريض ، لم أستطع تخيل المقابر من غيرها ، أمي تسبقني وصوت بكائها يعلو كأنها في أول زيارة لقبره بعد دفنه، من بعيد تبدو المقابر عارية، لا تظهر إلا بعض شجيرات الصبار، هل حقا اختفت؟ ما الذي تبقي لي؟ كيف أنظر في عينيه عندما يحين وقت اللقاء؟ ترى ما الذي حدث للوحته التي ظللت أخفيها وسط ملابسي حتى جاء الميعاد؟ هو الذي أشار لي أن أتبعه، عندما انفرد بي في البيت،أجلسني أمام

مكتبه، أخرج من الدرج شيئا ملفوفا بعناية ومربوطا بالدوبارة، فكها وأزاح الأقمشة القديمة، ليظهر لوح من الرخام الأسواني الأحمر الجميل،وضعها أمامي بسرعة،يأمرني بالقراءة ، أقرأ بصوت مرتفع " بسم الله الرحمن الرحيم : كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام... .....أتوقف عن القراءة لأرى بقيةالمكتوب، أتركها من يدي ولا أستطيع النظر إليه، يكمل بصوت مرتفع، وهو يحاول تقليد من يعلنون في الميكرفون عن حالة وفاة جديدة، توفى إلى رحمة الله تعالي "عبد الرحيم عبد الهادي " المأذون الشرعي بناحية البيلوق، في يوم .....وأشار بيده ناحية المكان الخالي للتاريخ، وأكمل وهو يضع يده على يدي، نسألكم الفاتحة والدعاء، بعد وفاتي أنت مسؤول أمامي عن كتابة التاريخ ورعاية الشجرة، لم استطع مغالبة الدموع،

لم تصدقني أمي أبدا عندما خرجتُ بهامن غرفتي، أقسمت لها أمام إخوتي البنات أنها وصيته، صمتت وعيناها تشيان بالكثير،الأيام تمر، وأرى أنها تقترب من أبي وتبتعد عني، إخوتي البنات يحاولن معنا ولكنها ترفض، يمازحنها ويقلن " لها متى ستزوجينه" ،فترد عليهم " لم يعد له قيمه بدون أبيه"، تقول الكبيرة" وشهادته العالية"، ترد " يعمل بها في غسيل العربات، كل عمله في الدنيا ري شجرة المقابر " .

وأنا أسقي الشجرة ظهر لي أحد أعمامي في أول المقابر ، يمشى كأبي عندما حملني وأنا صغير، معه فأسه وجردل، دخل بي المقابر، سألني "ما رأيك ؟"هللت من الفرح، كثيرا ما سألته أن يزرع شجرة لي، ولكنه يردني بقوله "لما تصير لنا أرض"، ألقي عمي السلام على الأموات، فردت عليه، لم يلتفت لي، وبدأ في قراءة الفاتحة، يرفع صوته ليسمعني بأنه يدعو لأبى، يرفع صوته أكثر عندما يصل في دعائه إلى كلمة وأسكنه دارا خيرا من داره، وهو يغادرني ضغط بيده على كتفي بقوة، ونظر في عيني مباشرة،وقال " حافظ على شجرة أبيك، هي التي ستبقى لك من رائحته" خلعت كتفي من تحت يده بقوة، تركته وأنا ألقي السلام على الأموات.

لم أستجب لتوسلات البنات، تركتهن وأمي يجلسن مع أعمامي لتقسيم الدار، لم أجد غير الشجرة وأبي لأسأله لمن سيزرع الشجرة في المقابر؟ لم يرد، خلع جلبابه ووضعه حول رقبتي، بدأ في الحفر.

لم أغسل العربات كما قالت أمي، بل صرت أملؤها بالجاز والبنزين، اخترت وردية الليل، أسهر الليل وأنام النهار، اكتفيت من الجميع ، واكتفوا منى، رائحة البنزين والجاز تملأ حياتي، عندها تركت أمي

ملابسي بدون غسيل "أبوه ملأ البلدة برائحته الجميلة " تتنهد وتسند ظهرها للحائط،كما وصفتها أختي لي وتكمل " الحريم في البيوت كن يعرفن بمروره عندما تصل إليهن رائحته" لم أعرف ماذا أقول لأختي وهي تأخذ ملابسي للغسيل، ذهبت إليه لأعيد عليه السؤال مرة أخرى " لماذا نزرع الشجرة هنا "، يدع الفأس من يده "كما ترى يا ولدي، شارعنا هو أعرض شارع في المقابر، لن يستطيع أحد أن يزرع شجرة مثلنا، عندها ستظلل الناس" أقول في لهفة " وما الذي سيحدث بعد ذلك؟" ، يرد " ستظل الشجرة تدعو لي بالمغفرة والناس تدعوا لي " " كيف؟" "عندما تتعلم وتقرأ ستعرف" يضع يده على رأسي ويقول" هل تعرف ما نوع هذه الشجرة ؟" أرد عليه بسرعة "كافور " ينظر لي بعينين مبتسمتين" هل أنت متأكد؟" أقاطعه بسرعة " لا إنها جازورين " انطلق في الضحك، لأشعر بالضيق فأقول" سيأتي العيال وأنت في البيت ويقطعون الشجرة " توقف عن الضحك " ألن تدافع عن شجرة أبيك وتحميها؟" نظرت إليه وأنا أبتسم "سأضرب كل العيال وأسقيها كل يوم " عاد الفرح إلى وجهة مرة أخرى، وجدتني أقول له "ممكن يأتي رجل كبير ويقطعها؟" بحزم قال "لن يقطعها أي رجل كرامة لعظم التربة" .

الآن ينقذني عظم التربة من التشرد،أعمامي قالوا لأمي إنهم لن يهدموا الدار إلا بعد أن تقابل وجه كريم،كرامة لعظم التربة، والبنات أقسمن أن أمي هي من أجبرتهم على هذا بعد تذكيرهم بما فعله لهم جميعا، كانت تدعو لك ونحن عائدون، خرجتُ عن صمتي وقلت "ألم تقل وأنتم عائدون أن أباكم فلح في كل شي إلا ولده ؟ لماذا لا تذكر كرمه الذي وصل الجميع ولم يصلني؟ " تنبهت لصوتي العالي، فتوقف الكلام في حلقي، نظرن إلي جميعا ثم احتضنتني الكبيرة وبدأن في البكاء،صوتهن في البكاء لا يختلف عن صوت أمي ونحن نسير ناحية المقابر، لم تعد تتجنب النظر إلي، أشارت لي وهي تقول " الشجرة تسد شارعنا "، لم نستطع الوصول إلى قبر أبي، تسبقني في الدوران حول المقابر، الشجرة ممددة على الأرض مثل ميت، الأوراق يحركها الهواء، أشعر كأن جسدها ينتفض، في محاولة أخيره للتمسك بالحياة، أسأ ل نفسي " كيف لهم أن يفعلوا ذلك؟" تقف أمي أمام القبر، وتضع كفها علي اللوحة، تمسح عنها الغبار، أهمس "الحمد لله لا تزال سليمة " الشجرة تملأ الشارع لكنها لم تسقط على أي مقبرة،كأنها نامت على الأرض،ثم قتلوها ، قلت لأمي "من قطعها كان حريصا ألا تسقط على المقابر " اتجهت أمي إلى جذع الشجرة ،أتبعها ، تنحني وتمد يدها،

تمسح بأصبعها على الجذع، ترفعه إلى أنفها تشمه، كانت توجد على الجذع طبقه كبيره من زيت العربات المستعمل، أستطيع تمييز رائحته، تقول أمي وهي تحاول مغالبة البكاء " من قطع الشجرة يريد قتل خلفتها " وانفجرت في البكاء، تغيم عيني بالدمع، لكنها لم تتفجر بالدموع، أشعر وكأن أبي قد خرجت روحه الآن، تلوح أمي بيدها وتقول " أين الناس؟ هذه شجرة كبيرة، كيف لم يشعر الناس وهي تقطع ، أو يلمحهم أحد " أدقق ببصري في الجذع، إنها مقطوعة بمنشار كهربائي،وضعت أمي يدها على كتفي" لم يبق له إلا أنت، ادع له في كل صلاة" أبدأ في البكاء الذي يتحول إلى نحيب، أخذت أمي تربت على ظهري، وتقول " اقرأ له الفاتحة " أتمالك نفسي، أبدأ في قراءة الفاتحة وبعض قصار السور ، بدأت روحي تهدأ، فبدأت في الدعاء لأبي، بعد أن انتهيت، أسأل أمي عن الذي أفعله الآن بالشجرة ، أخبرتني أن أذهب إلى مكمرة الفحم، وهم سيتولون الأمر، "لا تفاصل معهم في السعر،أهم شيء أن يأخذوا الشجرة ويخلوا المكان، وثمن الشجرة لك"،كلامها كان حازما، لم أستطع الاعتراض، لا أريد لأي شيء أن يعكر علاقتنا التي بدأت مرة أخرى.

في المساء يدها الحانية تربت على كتفي، تهمس "ستتأخر" في الصالة طعام العشاء كان ساخنا،الرائحة جميلة تذكرني بأبي وبالأيام الجميلة، معنوياتي المرتفعة تجعلني ألقي السلام على كل أهل الشارع، في البنزينة أملأ السيارات بهدوء، هذه سيارة ملاكي انتهي منها، تدخل سيارة نقل كبيرة،يدخل علينا موتوسيكل مقاطعا الصف، أشير إليه أن يقف في الناحية الأخرى، ويملأ بمسدس الضخ الثاني، يتحرك الرجل ويفعل كما قلت له،انتهى من الملء قبل أنتهي من ملء سيارة النقل، يأتي ليحاسبني قال " اخصم ثمن البنزين من ثمن استئجار المنشار " أهز له رأسي علامة الموافقة.

المتاهه

"الحاج عبد الغني أبوعيطه بعثني لكم بأمارة "

أبلع باقي الكلام في جوفي، من الأبله الذي يقول مثل هذه الأمارة؟ لكن من الذي يستطيع أن يخالف والأمر كان واضحا من أبي؟ "كرر ما أقوله لك حتى تحفظه" من أول الطريق وأنا أعيد وأكرر، أهز قدميّ وأضرب بهما بطن الحمار، يرفع رأسه ويزفر في الهواء،و يمشي بهدوء، هل سيعرف أهل الرجل حمارهم؟.

الاختلاف بينهم جعلني على ظهر هذا الحمار الغريب، وأدخل على ظهره بلدة لم أدخلها من قبل، أبي يقسم أن ميزان التاجر غير دقيق، يرى أن هناك فارقا نصف كيلو بين مرة الوزن على الميزان الأرضي والميزان القباني للتاجر، الأصوات التي علت لم يسكتها إلا اقتراح "الحاج عبد الغني " بالاحتكام إلى ميزانه.

شمس أغسطس تلسع الجلد ونحن لا نزال في الضحى، أهز قدمي لأحثه على السير، لا يستجيب لي، يقف على جانب الطريق، يبدأ في قضم بعض الحشائش، أهز رجلي ليسير، أفعل هذا مرة ثانية بعنف أكثر، يدلدل أذنيه، ويزفر هواء في الأرض، يبعد به التراب عن حشائشه، لن يتحرك إلا عندما ينتهي، أكرر مرة أخري بصوت عال " الحاج عبد الغني أبو عيطه بعثني لكم بأمارة .. ثم أبتلع باقي الكلام، أشعر بالنوم يثقل رأسي.

أسبوع كامل وأنا أنام نوما متقطعا، أنتظر فيه صوت أبي قبل الفجر، يدعونا للصحيان، أصحو وأنا أقول لنفسي إنه أسبوع، وتبدأ الأجازة الصيفية الحقيقية لي، في الفجر وجدني أبي جالسا في الصالة منتظرا نداءه، أشار إلى غرفة إخوتي فقمت مسرعا، كل ما كان يسيطر

على تفكيري أن اليوم هو اليوم الأخير في جمع العنب،الأجازة الصيفية لا تبدأ عندي إلا بعد قص آخر عنقود، والآن لن تبدأ إلا بعد أن أقول الأمارة، وقبل كل هذا أن يرضى عني الحمار ويكمل سيره، لم يسمحوا لي أن أعترض، عندما أخبرتهم أنني لا أعرف بيت الرجل، قالوا جمعيا ليست مشكلة، الحمار يعرف الطريق، عندما اقتربت من الحمار لأركبه، هز جسده وكأنه يستعد للرفس، أحضرت العصا التي أسوق بها حمارنا واقتربت، فبدأ الحمار في الرفس "لن يسمح لك بأن تركبه وأنت تحمل عصا " يمد الرجل يده ليهدأ الحمار، ويأمره بالسماح لي بركوبه، ينظر الرجل في عيني وأنا أركب الحمار ويقول "ده حمار لماح" .

الآن يمكنني أن أبحث عن عصا وأسوقه بها، طردت هذا الهاجس سريعا، فأنا لم أركب حمارا مثل هذا من قبل، قوائمه عاليه، شعره أبيض ويلمع في ضوء الشمس كأن صاحبه يغسله كل يوم، يتبختر وهو يمشي كأنه لا يحمل أية أحمال على ظهره أو يجر عربة، رقبته طويلة ولن تستطيع يدي الوصول إلى أذنيه، أحاول معه مرة ثانية ليسير، يرفع أذنيه ويلوي رقبته وينظر لي، يهز رأسه ويبدأ في المسير، بصوت عالي أكرر الأمارة "الحاج عبد الغني ....، أشد مقود الحمار بكل قوة ليقف، وأنا أسأل نفسي: هل أسير في الطريق الصحيح؟ هل يصح أن

أترك له نفسي هكذا؟ ماذا لو لم يكن ذاهبا إلى البيت؟ هل أسأل أي شخص من الآن؟ ، هل البلد التي نسير ناحيتها الآن، هي هي نفس البلد التي نريدها أم أنها أي بلد؟،

أشد المقود بقوة أكثر ولكنه لا يقف، يلوي رقبته للخلف وينظر لي، مرة ثانية يلوي رقبته ويتأملني، هل يتأملني ليقرر من يقود؟ لن أتجادل معه، المهم أن تبدأ أجازتي الصيفية، لم أدخل هذه القرية من قبل، كل ما أعرف عنها هو اسمها، وأعرف منها بعض الأولاد يأتون معنا في المدرسة الإعدادية، أتمنى لو لم ألتقي بهم، أول رجل سيقابلني سأسأله عما أريد وأنتهي من كل هذا، أزعق وأقول "حا..حا" لكنه لا يهتم بي، أصمت في يأس.

بدأت البلدة تقترب، يسرع الحمار في سيره، ثم بدأ يجري، أحاول التشبث بالبردعة، لم يجد هذا نفعا، أشعر وكأنني طفل يهدهده أحدهم، يتوقف فجأة، أجد نفسي طائرا في الهواء، والأرض تتلقاني، السقطة كانت قوية، أشعر أن عظامي متكسرة، والتراب دخل فمي، رأسي أشعر بها تدور، وأحاول أن أتنفس بصعوبة، جسدي لا أستطيع السيطرة عليه، المقود الذي في يدى بدأ الحمار يسحبني منه على

الأرض، أحاول الوقوف بسرعة قبل أن يجرني وراءه، لن أترك الحبل من يدي، يجري وأنا أجري وراءه، يتوقف ويستدير لي، يقترب ويبدأ في العض، أترك الحبل وأجري بعض خطوات أمامه، يستدير ويجري بكل قوة إلى البلدة وهو يرفس، أجري وراءه وأنا أهمس لنفسي لم يعد يوجد إلا أنا وأنت .

في شارع داير الناحية يقف من يراه بجوار الحائط ويفسح له الطريق، عندما يشعر بأي أحد يقترب منه يبدأ في الرفس،أسمع الحريم من بعيد وهي تحذر أولادها "ابعد يا ولد حمار أبوكم عبد الغني"، لم يكمل الطريق الرئيسي ودخل من شارع ضيق يكاد لا يسع غيرنا، بدأ يسرع أكثر، وبدأت المسافة تزداد بيننا، لم أعد أراه في نهاية الشارع الضيق، أصل لنهاية الشارع لأجده ينتهي بجرن واسع تتفرع منه شوارع كثيرة، يملؤني الضيق، وأشعر بطعم التراب في حلقي مرة أخرى، هل أسأل الآن عن بيت الرجل؟ يأتيني صوت من الخلف " أنت كنت بتجري وراء حمار عبد الغني أبو عيطة" أستدير وأنا أقول "هل تعرفين بيته؟" تشير بيدها إلى أحد الشوارع التي تتفرع من الجرن وهي تقول "هل أوقعك من على ظهره؟" شبح الابتسامة التي على وجهها يجعلني أقول "لا" وأنا أذهب ناحية الشارع الذي أشارت إليه، شارع قصير أستطيع أن أرى في

نهايته طلمبة والحمار يقف على حوضها محاولا شرب الماء، يحرك برأسه ذراع الطلمبة أكثر من مرة ، تخرج امرأة وتكمل لف الطرحة حول وجهها، وتسأل الحمار بصوت عال " فين سي عبد الغني؟".

تنتبه لي السيدة وهي تدير الطلمبة، أبادر بالسؤال " ده بيت الحاج عبد الغني أبو عيطة؟" تهز رأسها، أقترب من الحوض وأقول "أنا مرسال من الحاج بأمارة" تضيق المرأة عينيها وهي تسألني " ما الأمارة ؟ " أشير ناحية الحمار" هو يقول بأمارة أنه بعثني بالحمار، اعطيني الميزان القباني" تهز كتفيها "الحمار جاء بمفرده" أبتسم وكأني وجدت الجواب الشافي "وكيف تركه الحاج يأتي؟" تترك الطلمبة وتقول " الحاج دائما وهو راجع من أي مشوار بيجلس على القهوة ويتركه يأتي" ينتهي الحمار من شرب الماء، يحاول الجري، تجري المرأة وتقف أمامه، ترفع يديها وهي تقول "هس .....هس " ، يهدأ الحمار ويبدأ في النهيق، تمسكه من المقود وتديره ناحية الحظيرة وهي تقول "توكل على الله يا ابني " لا أعرف ماذا افعل؟ أقول بعصبية "أنا ممكن أحلف لك" يأتيني صوتها من داخل الحظيرة "مش مهم تحلف المهم الحمار يحلف"

المحتوى

١- صـــــورة حـــــــديثـــة ٧

٢- لم أستطع اقتناص القمر ١٧

٣- الصيـــــــــاد ٢٩

٤- مظاهرة واحدة ٣٩

٥- صفحة (١٧) ٤٩

٦- الكشـــف ٦١

٧- محاولة أخيرة للهرب ٧٣

٨- في انتظـــار الآتي ٨١

٩- اغتيـــــــــال ٨٩

١٠-شجرة وحيـدة أمـــام المقبرة ٩٧

١١-الـــــمتـــــاهـــــه ١٠٧

عن الكاتب

- الاسم عبدالرحيم عبدالهادي
- مواليد ٧٢ محافظة الدقهلية ، مصر
- فاز بالمسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافية لعام 2007

  (المركز الثالث)
- صدر له مجموعة قصصية بعنوان هل كان خطأ عام 2010
- له تحت الطبع رواية بعنوان القضية ٤٨
- الإيميل: Elmazon72@yahoo.com
- ت : ٠١٠٩١٨٥٢١٧٦